سرُّ الصِّناعة الأدبية

تأليـــف

الإمام العلامة

أبي علي محمد بن حسن الحاتمي

المتوفى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة ت ٣٨٨ هـ

تحقيق وتعليق

دكتور/ حمدي الشيخ

٢٠٠٧م- ١٤٢٨هـ

obeikandl.com

obeikandl.com

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سلك طريقهم، واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

فهذا كتاب سر الصناعة الأدبية، الجامع لفنون الحكمة والفرائد الأدبية التي يحتاج إليها كل من نطق العربية، وأحب لغة القرآن الكريم، لغة أهل الجنة.

يحتوي هذا الكتاب على كنوز معرفية، وفنون أدبية وإسلامية، وأساليب بيانية، وطرائف أدبية، وزبدة تراثية في شتى علوم الحياة، يُمتاز أسلوبه بالسلامة، وبيانه بالطرافة، وشوارده بالجمال.

وهذا الكتاب يعدُّ موسوعة شاملة في فضائل الدين والآداب والفرائد والنفائس، ويقدِّم النصائح في ثوب أدبي رقيق، وتأثير نفسي بديع، تتعلق روائعه بالنفوس تعلق الدر في جيد الحسان، وتتزين معانيه في القلوب والعقول تزين الزهور في البكور.

فمن إسلامياته: في الثناء على الله تعالى، والاستعاذة به، وفضل القرآن والدعاء، وذكر رسول الله ﷺ، وبيان فضل التمسك بسنته المطهرة، وبيان فضل أصحابه - رضوان الله عليهم- فهم مصابيح هداية، والدعوة إلى التوبة، وصفاء الاعتقاد، والاستعداد للقاء الواحد القهار، بنفوس صافية، وأبدان بقضائه راضية.

ثم الحديث عن العبادات وآثارها في إصلاح النفوس كالصوم والصلاة والزكاة والحج وغيرها.

obeikandl.com

وفي الحديث عن العلم وفضله، وبيان حق العلماء ووجوب مصاحبتهم والأخذ منهم، وبيان علامات المحب وآثار الزهد والتقوى والرضا.

ثم يتحدث عن الملك، وما ينبغي أن يكون عليه من الصفات المحمودة، ككرم الأخلاق، والعدل، والسخاء، والحكمة، والحنكة، وحسن اختيار بطانته ومتابعتهم، وتطبيق شرع الله تعالى، وأثره في استقرار الحكم؛ فالعدل أساس الملك.

ثم يتحدث عن الوزارة والوزراء، وما ينبغي أن يكون عليه الوزير من النصيحة والتدبير، والسماحة والقيام بواجبه في خدمة الأمة، والعمل على كشف الغمة، وتحقيق الأمن والاستقرار.

ومن الناحية الأدبية نجد المؤلف يتحدث عن فضل الأدب، وبيان مكانة الشعر والنثر، وجمال النظم وروعة الخط، والقصد في أغراض الأدب، وقول الأدب أمام متذوقيه، وأهمية حفظ الكتب، وبيان أهمية العقل وفضله.

ثم يتحدث عن الشوارد والفوارد التي يجب أن يعرفها كل إنسان في أمور دينه ودنياه، يقدمها في أسلوب سلس، وعبارات موجزة تخلب اللب والوجدان، وتأسر القلب، وتعجز البيان، وكلها نصائح غالية وحكم نبيلة، يجب أن يعرفها كل إنسان، ويأخذ بها كل أرباب البيان؛ فهي عرائس المجالس، ومجددة نشاط كل باحث، وشارحة صدور العالم والمتعلم، ومشرقة ببهاء الماء والرونق.

وهأنذا أقدم هذا الكتاب إسهامًا في نشر العلم والمعرفة، وإثراءً للمكتبة الأدبية والثقافية، لما يحتويه هذا الكتاب من فرائد متعددة، بأساليب متنوعة، تأسر اللب، وتأخذ بمجامع القلوب؛ فإنْ أك وفقت، فالخير أردت، وإنْ كانت الأخرى، فحسبي أنني اجتهدت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه مآب.

الباحث

أبو ظبي في صباح يوم الجمعة ١٦/١١/ ٢٠٠٧م

الموافق ٥ من ذي الحجة سنة ١٤٢٨هـ

منهج التحقيق

وقد اتبع الباحث الأسس العلمية للتحقيق، وذلك بالتأكد من صحة النص وفق الرسم والمعنى بالمخطوطة، وتخريج الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وتحديد معاني الكلمات المعجمية التي تحتاج إلى مراجعة المعاني لكشف معانيها، وفق السياق الذي وردت به، والإشارة إلى ما يؤكد معناها من القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر العربي حتى يكون المعنى واضحًا جليًا، والنص متجددًا سخيًا، وبالمعاني متدفقًا بهيًا.

وقد يسر هذا العمل بعد عون الله وتوفيقه وضوح المخطوطة واكتمالها، وعدم استغلاق كثير من معانيها، وعلى الله قصد السبيل، والحمد لله ربِّ العالمين.

الباحث

obeikandl.com

صورة للمخطوط

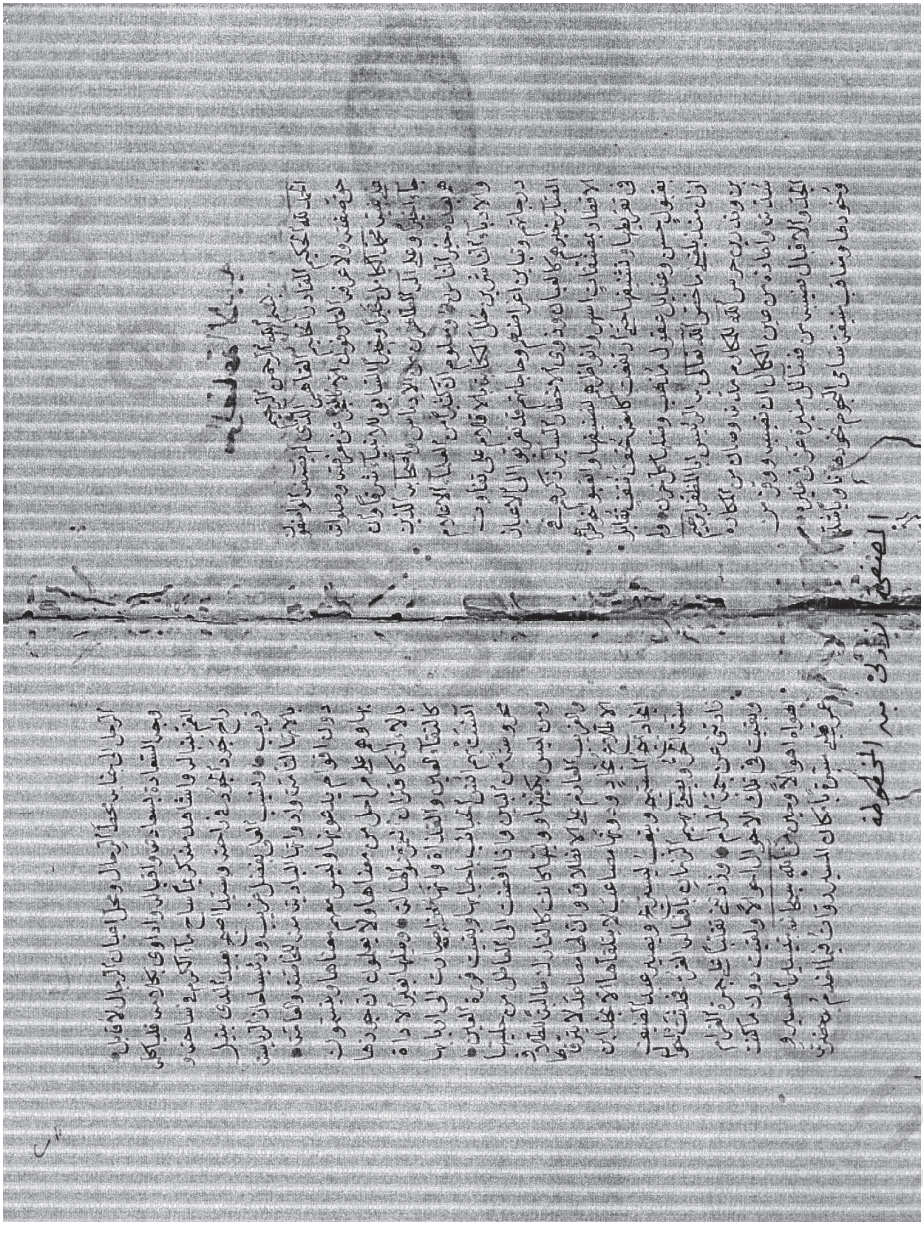

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

obeikandl.com

خطبة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الحكيم القادر، الحليم القاهر، الذي لم يصفه الواصفون حق صفته، ولا عرفه العارفون إلا بالعجز عن معرفته، وصلوات على نبيِّه محمد الكامل خبرًا وخيرًا، السابق للأنبياء شرفًا، وإنْ جاء أخيرًا، وعلى آله الطاهرين من الأدناس، وأصحابه الذين هم بعده خير الناس.

ومعلوم أن كثيرًا من العلماء الأعلام، والأدباء الناشرين حلل الكتابة بالأقلام، على تفاوت درجاتهم، وتباين أغراضهم وحاجاتهم، قد تقربوا إلى الأعيان الصائر خبرهم كالعيان، وذوي الأخطار السائر ذكرهم في الأقطار بمصنفات أسهروا نواظرهم لتصنيفها، وأتعبوا خواطرهم في تقريظها[١]، وتشنيفها[٢] حتى ارتفعت كامعة[٣] تُحف نتفٍ تقابل بقبول حسن، وعقائل عقول مذْهب، وصلها لك خرن.

ولم أزل منذ بلغني ما خص الله تعالى به الرئيس أبا المظفر إبراهيم بن وندرين، حرس الله لمكارم مدته، وصان من المكاره سُدّته[٤]، وأعاذه من عين الكمال أن تصيبه ووقر من الجدِّ والإقبال نصيبه، من فضائل منيرة، عز في غيره وجودها، ومناقب منيفة[٥] سامي النجوم نحو دها، ناويًا شد الرحل إلى جنابه، محط الرحال، ومحل أعيان الرجال، لأقابل وجه السعادة بسعادته وإقباله، وأداوي بكلامه قلبًا كلمه[٦] الغم بنباله، وأشاهد منه كريمًا ساح[٧] ماء الكرم في ساحته، وراح[٨] جود الجود في راحته،

(١) تقريظها: ضبطها وإصلاحها.
(٢) تشنيفها: جعلها تطرب الآذان.
(٣) كامعة: مرتدية أ جمل حليها.
(٤) سدته: السدة باب الدار.
(٥) منيفة: عالية عظيمة.
(٦) كلمه: جرحه وأدماه.
(٧) ساح: فاض وسال على جوانبه.
(٨) راح: انتشر وفاح.

وسيدًا أصبح بعيد المدى بنيل قريب ونسيب.

العلي بفضل غريب، ورئيسًا حاز الرياسة آلاتها التامة وأدواتها البادية[١] منه للخاصة والعامة، دون أقوام يدعونها، وليس معهم معناها، ويتسمون بها، وهم على مراحل من معناها، ولا يعلمون أن جوازها بالآلة كاقتران الثمرة بالهالة، ونيلها بغير الأداة كالتقاء العين والقذاة، وأنها إذا صارت إلى أربابها بهم آنست الحبائب بأحبابها، وبقيت قريرة العين، محروسة من البين.

وإذا أفضت إلى العاطل من حليتها، ومن لبس بكّينها ووليها كانت كالفارك[٢] طالبة للطلاق، والغريب العازم على الانطلاق.

وإن لها مصاعد لا يترق بها الاطلاع، نجاد[٣] ودونها مصاعب لا يتلقاها إلا نجد[٤] ابن أنجاد، يمج السميج[٥]، وينصب ليستريح، ويصير عبد الصنيف، سنة الحرّ، ويضيء بهيم الزمان بأفعاله الغر[٦]، فحدثت أحوال زادتني عن جمة المرام، وزادتني تقلبًا على جمرة الغرام، وبقيت في تلك الأحوال أحوالاً، ولقيت دون ما كنت أهواه أهوالاً، وحين مَنَّ الله سبحانه بتيسير العسير، وعمر قلبي مسرة بإمكان المسير، روان فيما أخدم بحضرته العالية، احضرها لله تعالى الخيرات المتوالية، فوجدت الهدايا الجليلة دقيقة الخطر عند نفسي الأبية[٧]، غير الهدايا الأدبية؛ فصنفت هذا الكتاب الموسوم[٨] بـ «سر الصناعة» مع ثقل الطبع وخفة البضاعة.

غرض الكاتب من تأليف الكتاب:

وكان في نيتي أن أطوِّل فيه النفس، وأُجري في ميدان الإطناب الفرس، فخفت أن

(١) البادية: الظاهرة الواضحة.
(٢) الفارك: المبغض المكروه أو الكاره.
(٣) نجاد: جمع نجد، وهي الأماكن المرتفعة.
(٤) النجد: الأصيل العالي المكانة والمنزلة.
(٥) السميج: القبيح.
(٦) الغر: المشرقة الجميلة الباهية.
(٧) الأبية: التي ترفض الضيم والذل والخضوع.
(٨) الموسوم: المسمى.

تحدث حالة أخرى تدفع في صدر أملي، وتمنع أن أجني ثمرة عملي، وتذودني[١] عن ورود[٢] ورد يُروي واردة، وزيارة بيت رفع إبراهيم قواعده، فملت عن الإطالة إلى الإيجاز.

منهج الكاتب في بحثه:

وقرنت ما سبق به الوعد بالإنجاز، معتمدًا فيه على ما جاد[٣] به خاطري، وسمح وجال[٤] في فكري، وسنح[٥] جاريًا على سنن كتابتي مخُرجًا سهم الإصابة من كنانتي، غير سارق من سابق فضلاً، ولا ناقل كلام فاضل نقلاً، إلا قليلاً من شعر خال حللته، أو مثل عديم المثل ثقلته[٦]، وبوبته أبوابًا، لم تحصُن تركيبًا، ولم تحسن ترتيبًا، لاشتغال القلب بأمر التحمل، وقصر الوقت عن طول التأمل، ووصلت بها ما اتجه لي.

وتأتى من فصول تضمنت معاني شتى، عالمًا أني في إهداء ذلك إلى مجلسه لا خلا[٧] من الأنس والنضرة، كجالب التمر إلى البصرة، ولو لم أقدم هذا التصنيف، وقصدت صفر اليد بابه المنيف، لكان في فضله الذائع، وكرمه المغني قاصديه، عن الذرائع ما أنال به غاية الأدب.

وأملأ دنو الخير إلى عقد الكرب، لكن جَرّني إلى ما تكلفت فيها جراء بي على تأليف ما ألفت رغبتي في أن أعلو نجد منه قدرًا ومحلاً، ويصير بمدحته أدبي العاطل محلي، وإذا أنعم بتغلبه، ونظر بعين الرضا فيه صار أحياف[٨] ألفاظه أعيانًا، وبهرج

(١) تذودني: تبعدني.
(٢) الورد: الورود وهو الذهاب إلى الماء.
(٣) جاد: الجود: العطاء.
(٤) جال: دار في خاطري.
(٥) سنح: أتاح، وجاء على طبيعتي وفطرتي.
(٦) ثقلته: جعلته لامعًا مشرقًا.
(٧) خلا: أي: خاليًا من الأنس والنضرة أي: الجمال، والكاتب يرى أن تقديم هذا العمل إلى الأمير لا بدَّ أن يكون في صورة مشرقة، حتى ينال إعجابه.
(٨) أحياف: جمع حيف، وهو الجور والظلم، ويقصد بها الألفاظ المجوفة الخالية من المعنى.

معانيه عقيانًا[1]، وغدا كالغادة[2] البكر متباهية في حلل البهاء.

والبكر مكرم إكرام الحرائر، وتصان من ضرر الضرائر، ويرعى واجب صحبتها لطفًا وبشرًا، ويورد ورد مشربها رفهًا لا شرًّا، وما أولاه حرس الله عنده ما أولاه بأن يعذرني في التعذير[3] بفضله الذي كمل؛ فالنمل يعذر في القدر الذي حمل، والله ﷻ يبقيه حاويًا أقسام المراد، حاليًا بالسؤدد[4] والسداد[5]، ويديم قلوب الأخيار مشوقة إلى مآدبه، ورقاب الأحرار مطوقة بأياديه، ويرحم الله عبدًا قال آمينا.

* * *

(١) العقيان: الذهب الخالص.
(٢) الغادة: الفتاة الحسناء، والجمع غيد حسناوات.
(٣) التعذير: يقصد التقليل من ذكر فضله العميم.
(٤) السؤدد: الجاه والرفعة.
(٥) السداد: التوفيق والرشاد.

obeikandl.com

ثبت الأبـــواب

- في الثناء على الله تعالى، وذكر طرف من نعمه التي تتوالى.
- في الاستعاذة به.
- في فضل القرآن الكريم.
- في الدعاء.
- في شرف النبي ﷺ.
- في ذكر سنته ﷺ.
- في ذكر أصحابه ﷺ.
- شرف العلم والعلماء.
- في المواعظ.
- في الشهادة والتوحيد.
- في الصلاة.
- في الصيام.
- في الزكاة.
- في الحج.
- في المعرفة والعارف.
- في المحبة والمحب.
- في الزهد.
- في التوكل.
- في التقوى.
- في الرضا.
- في ذكر ما ينبغي للملك أن يكون عليه.

obeikandl.com

- في ذكر حضرة الملك.
- في العدل وطيب ثمرته.
- في الظلم وسوء عاقبته.
- في الدعاء على الظالم.
- في الوزير.
- في تقليد الوزارة من هو أهلها.
- في الإشارة باجتناب الوزارة.
- في ذكر البلغاء والكُتَّاب والشعراء.
- في وصف الخط واللفظ.
- في الأدب.
- في وصف الكتب.
- في السؤدد والرياسة.
- في حصول الراحة بالتعب.
- في العقل.
- في الصبر.
- في الشكر والكفران معًا.
- في الجود والإحسان.
- في الإحسان إلى الأحرار.
- في ضده.
- في المدح.
- في الذم.
- في التغابر.

obeikandl.com

- في ذكر من يفتخر بنفسه.
- في ذكر من يشد موروث الحسب بالمكتسب.
- في ذكر من يشين بمساوئه محاسن وليه.
- في ذكر الكريم واللئيم معًا.
- في ذكر الغنى.
- في ذكر عاديته.
- في ذكر الفقر.
- في عائذته.
- في ذكر المجدود والمحدود معًا.
- في التهاني.
- في التعازي.
- في الشباب.
- في حسن موقعه من قلوب الغواني.
- في الشيب.
- في قلى الغواني ذا الشيب.
- في لوم ذي الشيب على اقتراف الذنب.
- في ازدياد الفهم، واستحكام الرأي بالشيب.
- في فضيلة الكلام.
- في الصمت.
- في ذكر الصديق الممدوح.
- في ضده.
- في ذكر ما ينبغي للصديق أن يكون كذلك.

obeikandl.com

- في الصدق.
- في الكذب.
- في الوفاء.
- في الغدر.
- في التواضع.
- في العجب.
- في القناعة.
- في الحرص.
- في الطمع.
- في كثرة الأكل.
- في البخل.
- في الحسد.
- في الهوى.
- في الوصل.
- في الفراق.
- في ذكر الربيع.
- في وصف البساتين والرياض فيما يتعلق بذلك.
- في ذم الشراب.
- في التوبة.
- في ذم الدنيا.
- في حرص أهلها عليها مع ذمهم إياها.
- في ابتلاء الكرام بمحن الأيام.

obeikandl.com

- في فوز اللبام بالبرام.
- في ذكر الكرام واللئام.
- في الهموم والأمراض معًا.
- في ذكر الموت.
- في الشوارد والفوارد.
- في شوارد الفصول.

* * *

obeikandl.com

في الثناء على الله وذكر طرف من نعمه

الحمد لله السابق قضاؤه، السابغ عطاؤه[١]، القاهر سلطانه، الباهر برهانه[٢]، الحمد لله واهب الكثير، وجابر الكسير، ومجيب الداعين، ومجير المرتاعين[٣]، الحمد لله على نعمه الزهر، ومنحه التي لا يستقل بأقلها أكثر الشكر، الحمد لله على نعمه الصافية الإعداد، الأبيّة على التعداد.

الحمد لله على نعمه الظاهرة، ومنحه الباطنة والظاهرة، الذي ليس فوقه أحد، ولا دون قضائه ملتحد[٤]، الذي يعلم السرائر، ويغفر الجوائر، ويعطي السائل، ويغني العائل[٥]، الذي أنقذنا من النار، وكنا على شفاها، وأبرأ قلوبنا[٦] من مرض الكفر وشفاها، حمدًا يحمي أوانس النعم من النوار، ويديم رياض المنح ناضرة الأنوار، حمدًا يقوي قواعد النعمة ويقرها، ويحكم أسباب المنحة ويمرها، ويمري أخلاف الزيارة ويدرها، حمدًا يعقل النعم عن الشرود،[٧] ويديم المنح ضافية[٨] البرود.

حمدًا ينظم عقود النعمة وقلائدها، ويصير بريد الزيادة وقائدها، لله تعالى نعم يفوت أدناها أقصى الآمال، ويفوق عفوها جهد الأعمال، كم لله سبحانه من ألطاف في أعطاف الأسواء، وعوافٍ ضوافٍ[٩] في أثناء الإدماء.

كم لله عن اسمه من لطائف تُؤَمِّنُ الخائف، ومنائح تدع المضايق منادح[١٠]، فلله

(١) السابغ: العظيم الوافر.
(٢) البرهان: الحجة والدليل القاطع.
(٣) المرتاع: الخائف المضطرب.
(٤) ملتحد: ملجأ يهرب إليه.
(٥) العائل: الفقير كثير العيال، وهي من العيلة والفقر.
(٦) أبرأ: شفى قلوبنا.
(٧) الشرود: الضياع والزوال.
(٨) الضفو: السُّبوغ، وأسبغ النعمة: أتمها.
(٩) ضواف: جمع ضافية، وهي السابغة أي: التامة النعمة.
(١٠) منادح: واسعة كبيرة.

ﷻ من صنع يجل عن القياس، ويحل عند اشتداد البأس، وامتداد اليأس.

كم لله تعالى من صنع تحل فيحل عقد البلاء، ولطف يصل فيصل حبل الرجاء.

باب جديد في الاستعاذة

نعوذ[١] بالله من شر ما ذرأ فطال، وما أعاذ ودرأ[٢].

نعوذ بالله من خرق الأجماع، وسوء الأسماع، والانخداع بزخارف ذوي الابتداع.

نعوذ بالله من بدع العالية الغاوية، وأهوائهم المهوية في الهاوية.

نعوذ بالله من أهواء تغيِّر الاعتقاد، وأهوال تطير الرقاد.

نعوذ بالله من فتنة الملحدين[٣]، وصحبة الذين يلبسون[٤] علينا الدين.

نعوذ بالله من النكوب[٥] عن سواء السبيل، وركوب ما يعرّض للآخذ الوبيل[٦].

نعوذ بالله من شر ذلك اليوم العسير، ونتقي ببرد عفوه من حر السعير.

***

(١) نعوذ: نلجأ.

(٢) ذرأ: خلق.

(٣) الملحدين: الخارجين عن دين الله المتخذين طريقًا يخالف منهج الله تعالى.

(٤) يلبسون: يخدعوننا.

(٥) نكب: انحرف وابتعد.

(٦) الوبيل: سَيئ العاقبة.

obeikandl.com

في فضل القرآن الكريـــم

القرآن كتاب يقرُّ[١] العيون مقروءًا، ويهدي إلى القلـوب هـدى وهـدوا، القـرآن رواء لذي الغليل[٢]، ودواء للقلب العليل.

القرآن مؤنس من سلم، وشافٍ من ألم، كتاب يتعطر بقراءتـه المجـامع[٣]، ويتلـذذ باستماعه المسامع.

كلام يتضاعف طوال الدهر طلاوةً[٤]، ويزداد علـى كثـرة الـتلاوة حـلاوةً، مَـنْ صدف[٥] عن آياته صادف الردى، ومن يحد عن أوامره يثو[٦]، ومن يرد غير موارده لم يَرْو، من أصبح وهو للقرآن تبع لم يعل مراتب قلبه طبع، بـه يتـضح المشتبه، وينتهـي المصير وينتبه.

كفى به ناهيًا عن المناكر[٧]، وراعيًا من مكر المـاكر، طـوبى لمـن كـان لـه حـاملاً، وبموجب ما فيه عاملاً.

من علم ما فيه ثم عمل بما ينافيه[٨]؛ فقد اكتسب خطئًا كبيرًا، وارتكب ذنبًا مبيرًا، من أكرم حملته أكرم، ومن لم يدع حرمته حُرِمَ.

* * *

(١) يقر: يبهج.
(٢) الغليل: شدة الظمأ.
(٣) مجامع القلوب: أماكنها وبواطنها.
(٤) طلاوة: حسنًا وبهاءً.
(٥) صدف: ابتعد وأعرض.
(٦) يثو: لا يقيم على الطاعة والعبادة.
(٧) المناكر: جمع منكر، وهو كل ما يخالف شريعة الله تعالى.
(٨) ينافيه: يخالف ما جاء فيه.

في الدعـــاء

الدعاء يغنيك عن الخَّنة[١]، ويقويك وأنت ضعيف المنة، الدعاء يريك محيا الفلج، ويأتيك بريا الفرج، نعم السلاح دعاء من دينه[٢] الصلاح.

إذا خفت عادية الأعداء؛ فاستجر[٣] منها بصالح الدعاء، رُبَّ خطب كالح كُفي بدعاء صالح، رُبَّ خطب[٤] كالنار ذات الوقد سكن بدعاء عبد صافي العقد.

قيمة دعوات الأبرار:

دعوات الأبرار ترد عداوات الأشرار، دعوات الأولياء ترمي ظلام الخطب بالضياء.

فصل: دعاء

يا عالم الأسرار عذنا من شر الأشرار؛ فكم داهية كففت، وباجية[٥] كشفت، وجبار كسرت، وكسير جبرت.

يا دليل الحائرين أجرنا من جور الجائرين [٦]؛ فكم نعمة أزلت ونعمة أنزلت، ومظلوم نصرت، ويد ظلوم قصرت.

يا مُؤَمِّنَ الخائفين، وموهن كيد المخالفين، أزح ما نزل بساحتنا، وأرح ما عزب[٧] من راحتنا، وعدّ عنا مابقة[٨] العدو، واهدْ إلى نفوسنا رابحة الهدوء؛ فكم عقد خطب حللته منة، وعزب كرب مللته منة، وخبل مكروه ثنيته حولاً، وليل مكروب أفنيته طولاً.

(١) الخُنَّة: الخنا: الفحش، وأخنى عليه الدهر: أتى عليه وأهلكه.
(٢) دينه: طبعه وديدنه أي: حياته مستقرة على الصلاح.
(٣) استجر: الجأ إلى جوار ربك.
(٤) الخطب: المصيبة.
(٥) باجية: مصيبة.
(٦) الجائرين: الظالمين، والخوَرُ: الضعف.
(٧) عزب: غاب وضاع.
(٨) مابقة العدو: آثاره وعدوانه.

obeikandl.com

يا معطي العطايا، ومغطي الخطايا، اشف قلوبنا المرضى، ووفقنا للعمل بما ترضى، واكفنا كل شر كفاية كافية، ولا تجعل آثار عافيتنا عافية[١].

في ذكر الرسول عليه السلام

وما محمد إلا مصباح الهدى والصلاح، ومفتاح النجاة والنجاح، وما محمد إلا قائد البركات، والذائد[٢] عن موارد الهلكات، وما محمد إلا رسول نيل السؤل، وبشير الوصول إلى الخير الموصول، أرسل الله بكتاب جلي[٣] البيان، ودين علا البنيان، أرسله الله بحجة ماضية دونها السيف المأثور، ومحجة مضية لا يخشى عليها الدثور، أرسله بكتاب مبين الآيات، مبصر من العمايات، ودين مشحوذ الشباه مخصوص بدوام الثبات، أرسله بدين راسخ البنيان، ناسخ للأديان[٤]، وكتاب نير البيان، محير للفصحاء الأعيان، أرسله بدين يخفق بالنصرة راياته، وكتاب ينطق بالحكمة آياته، أرسله بدين لا يضعف قواه، ودليل لا يخفى ضواه[٥]، فأصبح لأثر[٦] الكفر ماحيًا، ولحمى الإيمان حاميًا، فأصبح لقواعد الإيمان مشيدًا[٧]، ولسواعد الإسلام مؤيدًا، ولركن الشرك ثالمًا[٨]، ولظفر الكفر قالمًا[٩].

فنهج طريق الحق بحسن الدلالة، وجلا بشمس الهدى ضبابة الضلالة، فرفع أعلام الإسلام، وكسر أصناف الأصنام، وفرَّق بين الحلال والحرام، وفرَّق فرق

(١) عافية: بعيدة ذاهبة.
(٢) الذائد: المدافع الحامي.
(٣) جلي: واضح ظاهر.
(٤) ناسخ: مغير ماحٍ لكلٍّ ما قبله، ومبطل حكم ما قبله، والنسخ هو التغيير، قال تعالى: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].
(٥) ضواه: ضوؤه.
(٦) أثر: آثار.
(٧) مشيدًا: مقويًا مؤيدًا.
(٨) ثالمًا: قاطعًا ماحيًا.
(٩) قالمًا: قاطعًا.

الزيغ[١] والضلال، وجلا عناية الغباية، وجاب حجاب الغمة والعماية.

في ذكر سنته - ثبتنا الله عليها

طوبى لمن أصبح للبدعة نابذًا[٢]، وفي سنن السُّنة نافذًا[٣]، طوبى لمن أصبح من البدعة منتفيًا[٤]، ولسنة الرسول ﷺ مقتفيًا[٥]، طوبى لمن افتقر معالم الشريعة، وعدل عن مجاهل الأهواء الشنيعة، من سلك المحجة البيضاء، نضر وجهه وأضاء.

مدح المتبع سُنة النبي ﷺ:

أخلق بمن كان سنيًا أن ينال من الخير سنيًا[٦]، طوبى لمن كان لأهل الجماعة مرافقًا، ولفرقة الغرفة مفارقًا، من نقى قلبه من الرين[٧] لقي الخير في الدارين، عليك بلزوم السدد وسلوك الجدد، كيف يرجى دخول الجنة مع الخروج عن السُّنة، ولا يود أهل السنة إلا نقي سعيد، ولا يشاقهم إلا شقي عن الخير بعيد، لا يحاب[٨] أهل السنة إلا منصور مجدود، ولا يحاربهم إلا مخذول محدود.

في ذكر أصحابه ﷺ

رحمة الله على أصحابه الذين هم أنصار الدين، وأبصار اليقين، وخزنة العلوم والحكم، وحضنة الجود والكرم، الذين هم شهب الهدى، وسحب الندى، وسادة

(١) الزيغ: الابتعاد والانحراف.
(٢) نابذًا: طاردًا ومبعدًا.
(٣) نافذًا: عاملاً بها.
(٤) منتفيًا: خاليًا منها.
(٥) مقتفيًا: مقتديًا بها.
(٦) سنيًا: ضوءًا وإشراقًا.
(٧) الرين: غشاء من المعاصي يغطي القلب، يقول تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].
(٨) يحاب: يدافع عنهم وينصرهم.

الخلفاء، وشادة أبنية الكرم[١] والوفاء، الذين هم شموس الإيمان، وظلال الأمان، وبحار العلم، وجبال الحلم.

من اقتدى بهم اهتدى، ومن ضوى[٢] إلى أهل الزيع هوى.

طوبى لمن تحلى بحلاهم، وجانب جانب قلاهم[٣]، وويل لمن عمى عن محجتهم، وعرى من ثوب محبتهم.

طوبى لمن سار في منهاجهم، واستنار بسراجهم[٤]، وويل لمن قدح زناد عنادهم، وقدح[٥] في سيرهم وعادهم[٦].

في شرف العلم وفضل العلماء

العلم يزيد شرف الشريف، ويشيد تليد عزّه[٧] بالطريف، العلم يقر[٨] العين، ويزيل عن القلب الغين[٩]، وكل عز لم تقر بالعلم عماده كان إلى الذل والسقوط معاده، لولا العلم لما فاز المنبج، ولا نال الإنس المهج، الأرض متزينة بزهر العلوم، تزين السماء بزهر النجوم.

مكانة العالم:

العالم حيث حَلَّ كرم وجل، وأين أمَّ نال البر الأعم، العالم حيث حلَّ صادف صحبًا ومكانًا وحبًّا، وأين أمَّ[١٠] وجد أهلاً وعيشًا سهلاً.

---

(١) شادة الكرم: مشيدين البناء أي: مقيمين البناء على أسس قوية.
(٢) ضوى: مال واتجه وسار معهم.
(٣) قلاهم: أبغضهم من القلى.
(٤) سراجهم: مصباح هدايتهم.
(٥) قدح: عاب وذم.
(٦) عادهم: عاداتهم وشمائلهم.
(٧) تليد: قديم.
(٨) يقر: يَسُر.
(٩) الغين: الغطاء، وفي الحديث: «**إنه ليغان على قلبي**».
(١٠) أمَّ: قصد، ومنه قوله تعالى: **+وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ"** [المائدة: ٢].

ثواب من يخدم العلماء: من خدم العلماء خُدم وقُدِّم أي مكان قدم.

موت العالم:

موت العالم رزء[١] يكبر، وكسر لا يجبر، إذا رحل عالم حلَّ خطب جلل، وتخلل أمر الدين خلل.

فصل: صفات العالم

العالم من لبس الورع معرضًا، وأصبح عن أعراض[٢] الدنيا معرضًا، العالم من يعز بالقناعة والطاعة، ولا يذل بالقنوع والطماعة، العالم مَنْ يشغله خوف النار عن طلب الدرهم والدينار، العالم مَنْ يقرن بالعلم[٣] العمل، ويقصر من أجل الأجل الأمل.

آفات العلماء:

ليس بعالم مَنْ تعلم للمراء[٤]، والدخول على الأمراء، ليس بعالم مَنْ قال برأيه[٥]، وناظر مباهيًا متباهيًا لنظرائه.

الإخلاص

أخلص فالإخلاص يهون عليك المنون[٦]، وينفعك يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا تكن اليوم مفرطًا فتسير غدًا متورطًا، بادر إلى الخيرات أتم بدار، واعلم أن هذه الدار ليست بدار، إذا ساعدك سعدًا واقتدار؛ فليكن لك إلى الإحسان بدار، فليس للأيام على حالة مدار.

التواضع:

اخفض جناحك إذا سموت[٧]، واغتنم حياتك؛ فإن وراءك الموت، لا تزرع الشر

(١) رزء: مصيبة، ج: أرزاء.
(٢) أعراض الدنيا: زينتها وجمالها.
(٣) يقرن: يجمع بين العلم والعمل، والقول والفعل.
(٤) المراء: الظهور والوجاهة والإعجاب بالعمل أمام الناس.
(٥) قال برأيه: أعجب برأيه، ولم يكن له سند من القرآن أو السُّنة.
(٦) المنون: المصائب والأمور العظيمة، ويطلق على الموت أيضًا.
(٧) اخفض جناحك: تواضع وكن رحيمًا بالضعفاء كالطائر يحنو على فراخه، سمت: ارتفعت وعلوت.

obeikandl.com

فتندم عند الحصاد، ولا تظلم الناس؛ فإن ربك بالمرصاد[١].

دعوة إلى التوبة

أيها المنهمك[٢] في الحرام، المنغمس في غمار الإجرام، تب إلى الله توبةً نصوحًا[٣]، وأقبل على خدمته[٤] قلبًا وروحًا، ما دام جناب عمرك فسيحًا، ولسان عذرك فصيحًا، قبل أن يأخذك أخذًا وبيلاً[٥]، فلا تجد إلى التوبة سبيلاً.

ذم الدنيا الغرورة

أيها السَّادر[٦] في الجهالة، السائر في طريق الضلالة، النائم عن هول الساهرة[٧]، الهائم بحبِّ هذه الساحرة، أقصر عن البطالة والتقصير، وتدارك بقية عمرك القصير، واعتز بالطاعة فعل الرشيد، ولا تغتر بالمال والقصر المشيد، فقصار القصر اندراس[٨] وانهدام، ومال ذي المال إفلاس وإعدام.

الاستعداد للموت

يا طويل الوسن[٩]، غرَّك جرار الرسن[١٠]، فلا تنتبه للفعل الحسن، فقد طال تقصيرك، وازرف بلا مرية مسبرك[١١]، ودنا إلى دار البلى مصيرك، وكن للسفر مستعدًا، وفي أخذ الزاد مجدًا، فإن الطريق صعب جدًّا.

---

(١) بالمرصاد: مطلع عليك، يرصد حركاتك وسكناتك، يقول تعالى: **+بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ"**، وقال: **+مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"** [ق: ١٨].

(٢) المنهمك: انهمك غرق في الحرام.

(٣) نصوحًا: خالصة صادقة.

(٤) خدمته: طاعته وتنفيذ أمره.

(٥) وبيلاً: ثقيل وخيم.

(٦) السادر: المتحير، وهو الذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع.

(٧) الساهرة: القيامة والآخرة يقول تعالى: **+فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ"** [النازعات: ١٤].

(٨) اندراس: اندرس مُحِي أثره؛ فهو دارس أي: زائل.

(٩) الوسن: النوم.

(١٠) الرسف: الحبل.

(١١) مسبرك: الهيئة، يقال: فلان حسن الحِبْر والسبر إذا كان جميلاً حَسَن الهيئة.

صفاء الاعتقاد

كن صافي الاعتقاد، نافيًا الأحقاد، راضيًا من الدنيا باليسير، متزودًا من التقوى قبل المسير، فإن وراءك طريقًا لا تأمن فيها النوى، إلا بحسن المنتوى،[١] وعقبة لا تقوى على اقتحامها إلا بالتقوى.

الموت

كلنا ذائقا لكأس المنية، وراحلا عن هذه الدار الدنية،[٢] فعليك بقصر الأمنية، والعمل بإخلاص النية؛ لتفوز غدًا بالنعمة السنية والعيشة الراضية الهنية، الموت عاد وطارق، وكل عن قريب مفارق، وأنت عن جانب العمل متباعد، وعن التزود للسفر متقاعد،[٣] فالعجل العجل قبل أن تبلغ الأجل، والبدار[٤] البدار قبل أن تفارق هذه الدار.

في الشهادة والتوحيد

مَنْ خُط[٥] أنه من أهل السعادة، لم يتخط كلمة الشهادة، بالشهادة تدخل أولاً في الإسلام، وبكونها آخر كلامك تدخل دار السلام، كلمة الشهادة حصن حصين، وسوره إخلاص ويقين.

صل الشهادة بذكر الرسول؛[٦] لينتفع بالوصول إلى سائر الأصول، الطاعات ضعيفة القوى، واهية القواعد، والبناء ما لم يكن بالتوحيد توكيدها،[٧] وبتمجيد الباري تمهيدها،[٨] لا ترج من الله تعالى قرمًا[٩] حتى تجعل توحيده للطاعة قطبا.

---

(١) المنتوى: حسن العاقبة.
(٢) الدنية: الدنيئة الحقيرة.
(٣) متقاعد: مُقَصّر مهمل.
(٤) البدار: المسارعة والمبادرة ، وهو منصوب على الإغراء.
(٥) خُطّ: كُتب له أن يكون من أهل السعادة.
(٦) وصل الشهادة: إتباع الشهادة بقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.
(٧) توكيدها: تقويتها.
(٨) تمهيدها: افتتاحها.
(٩) قرم: القرم: الشريف السيد ويقصد هنا المكانة والقرب من الله تعالى.

obeikandl.com

من أحكم توحيد الباري أولاً؛ فإن له على الطاعات معوّلاً، ومن لم يوفق الإحكام ذلك حرم العيش الهنيء هنالك.

إذا هديت إلى التوحيد، وتمجيد ربك المجيد؛ فاستمسك به فهو للأمر ملاك، وامسك عن ضده؛ فهو للمؤمن هلاك.

آداب الصلاة

إذا قمت إلى الصلاة فصلها بالسكون والثبات، وصلها بالخشوع والإخبات،[١] ولا تخل مع الإمكان بركن من الأركان؛ لئلا يضيع عملك، ويخيب غدًا أملك.

إذا صليت فلا تجوّز فيها إهمالاً، ولا تلتفت يمينًا ولا شمالاً، وقُمْ بحقوقها قيامًا وقعودًا، وأقمها على حدودها ركوعًا وسجودًا، وكن حاضر القلب والخاطر،[٢] عالمًا أنك واقف بين يدي الفاطر،[٣] إذا قمت إلى الصلاة فانظر لها نظرًا شافيًا، وكن أولاً بشرائطها وافيًا، ثم اشرع فيها بنيّة تصيغها نافيًا عنها كل ما ينافيها،[٤] لتحوز[٥] أجرها من الله كاملاً؛ فإنه لا يضيع أجر مَنْ أحسن عملاً.

إخلاص النية في الصلاة:

صَلِّ بنيّة تناهت خلوصًا، واجعل حسن صلواتك لله خصوصًا، ولا تصل سمعة ورياء، ليكتس[٦] وجهك نضرةً وضياءً، كل صلاة لم تخلص لله؛ فهي هباء،[٧] ولا يعلو وجه المصلي بها بهاء.

(١) الإخبات: الخضوع والخشوع والطاعة لله تعالى.
(٢) الخاطر: الذهن، أي: كن حاضر العقل والقلب.
(٣) الفاطر: الذي خلق على غير مثال سبق، يقول تعالى: +الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَا َرْضِ" [فاطر:١].
(٤) ينافيها: يخرج عنها ويبعد عنها.
(٥) تحوز: تأخذ أو تنال.
(٦) لام الأمر: والفعل بعدها مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة.
(٧) هباء: ما تذروه الرياح ولا تبقي له أثرًا.

إحسان الصلاة في السر والعلن:

من أحسن بين الناس صلاته، وهو يسيئها في حال خلواته، فقد حُرِمَ المثوبة والأجر، واستوجب[1] العقوبة والهجر.

في الصيام

إذا صمت فكن محترزًا[2] محترمًا، لا مجترمًا؛ [3] فتبيت مكديًا مكدودًا، [4] ويصير صومك عليك مردودًا، لا يكون الصائم مستجاب الدعوة حتى يكون حيّ القلب، ميت الشهوة، من اتصل بذكر الحق صومه لم يذهب عنه باطلاً يومه، ومن طلق الدنايا في الصيام؛ زوج بحور مقصورات[5] في الخيام، ومن نظر عند إفطاره الأيتام؛ سقي من رحيق مسكن الختام.

العطف على الجائعين:

لا تعرّض لسخط الجبار برضاك شبعان مع جوع الجار، صن صومك من الخناء[6] والخيانة، وأعرض عن الدنية إقبالاً على الديانة؛ لينضر وجهك يوم التلاقي، وتنظر في الجنة إلى وجه الباقي.

صيانة الصوم:

صُن صومك ببذل الجهود لتلقى الراحة في اليوم المشهود، واصبر على الظمأ صائمًا، واشتغل بذكر الله دائمًا؛ لتشرب من حوض النبي شربةً فيها تمام الريّ.

---

(١) استوجب: استحق.

(٢) محترزًا: احترز من الشيء: توقاه.

(٣) مجترمًا: اجترام: اكتسب.

(٤) مكديًا مكدودًا: متعبًا.

(٥) مقصورات: لا يطلع عليهن أحد، ولا يرغبن في غير أزواجهن.

(٦) الخنا: الفحش في القول يقول الشاعر:

إذا أنت لم تعرض عن الجهل والخنا

أصبت حليمًا أو أصابك جاهل

obeikandl.com

في الزكاة

حصِّن مالك بالزكاة،[١] وحصِّل بإتيانها البركات، من أخرج من ماله حق الله بكماله؛ فقد جعل بينه وبين الآفات سورًا، ونال بنهاية كل وقت سرورًا.

ما نقص مال من صدقة:

لا تخف على مالك الآفات، إذا غلقت عليه تهويدًا[٢] من الزكاة.

إذا آتيت زكاة المال كاملة؛ فلا تخش على سوامه[٣]، وإن كانت هاملة[٤].

إخراج الزكاة إذا مَرَّ عليها الحول:

لا يقرُّ المال في نصابه حتى يزكى لحوله، عند تمام نصابه،[٥] إذا ساق الله مالاً إليك ووجب إخراج زكاته عليك؛ فلا توقع تقصيرًا، في الإخراج؛ ففيه إدخال السرور على المحتاج، إذا زكى المال نما[٦] أعم نماء، واحتمى من النوائب أتم احتماء.

عقوبة مانع الزكاة:

وإذا حبست زكاته أطلق فيه يد الحدثان،[٧] وأخرج من ضمان الأمان.

في الحج

الحج بمال حلال:

إذا حججت فصف أولاً مالك ليقبل الله أعمالك، وأخلص له نيتك؛ لينيلك

---

(١) حَصِّن: احم واجعل بيتك كالحصن.

(٢) تهويدا: تهربًا من دفع الزكاة.

(٣) سوامه: ج: سائمة، وهي المطلقة من الإبل غير المقيدة.

(٤) هاملة: ترعى بدون راع، فتكون المهملة بلا صاحب.

(٥) نصاب المال يقوم بـ ٨٤ مثقالاً من الذهب، ومائتي درهم من الفضة إذا مَرَّ عليها عام هجري؛ ففي قيمتها ٥ , ٢٪.

(٦) نمى: زاد ونما، وهذه الكلمة من مادة: نمي مع غير المحسوسات، ونما ينمو في المحسوسات؛ فنقول: نمي الرزق، ونمى الفضل ونما الزرع ونما الغصن.

(٧) الحدثان: الليل والنهار.

أمنيتك، واغسل باطنك من الحرام، كما تغسل ظاهرك للإحرام، وجرد نفسك من التخليط،[١] كما تجرد جسمك من المخيط، حج بأصفى مالك؛ لترضي به المالك.

النهي عن الحج بمال حرام:

إذا حججت بالغلول،[٢] والمال المغلول[٣]، لم يقابل حجك بالقبول، إذا حججتم فأنفقوا مما تحبون، ولا تدعوا وراءكم خصمًا يلبون إذا حججتم بأموال غير نقية، وقلوب غير تقية، وذهب منكم المال، وقد حج دونكم الجمال.[٤]

كم زائر لذلك المزار؛ رجع غير محطوط الأوزار، ليس كل قاطع لذلك الفج[٥] العميق واصلاً، إلى وصل رب البيت العتيق،[٦] كم جائب[٧] لتلك القفار[٨] الصعبة، وطائف سبعًا حول الكعبة، انقلب إلى أهله جد مسرور، ولم يعلم أن حجه غير مبرور.

في المعرفة والعارف

الاستغناء عن الأرباب بخدمة ذلك الباب:

المعرفة:

الاشتغال بالمناجاة عن سائر الحاجات، لمعرفة عدم الوحشة من الشدائد، ووجود الأنس بالواحد الواجد.[٩]

---

(١) التخليط: اختلاط الحرام بالحلال.

(٢) الغلول: الظلم أي: المال المأخوذ بغير وجه حق، قال تعالى: **+وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"** [آل عمران: ١٦١].

(٣) المغلول: المنهوب المسلوب بغير وجه حق.

(٤) أي: قصدكم مأزور لا مأجور، وليس لكم إلا التعب؛ لأن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا.

(٥) الفج: الطريق بين جبلين يقول تعالى: **+وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً"** [الحج:٢٧]، وهو الطريق الواسع بين جبلين والجمع فجاج.

(٦) العتيق: القديم.

(٧) جائب: سائر قاطع من جاب يجوب.

(٨) القفار: ج فقر، وهي الصحراء الخالية الجرداء لا زرع فيها ولا ماء.

(٩) الواجد: الذي أوجد الخلائق من العدم.

obeikandl.com

العارف:

العارف من يجول قلبه في الملكوت، وينطق فراسته عنك في حال السكوت.

العارف من يرى الغيبة عن الحضرة شركًا،[1] ويحتقر كل الدنيا لنفسه ملكًا.

العارف من يرى أطيب طُعم ذكر الْمُطْعِم، وأعظم نُعم مشاهدة المنعم.

العارف من يرى ازدحام الخلق خلوة، ولا يتخطى بساطة الحذمة[2] خطوة.

العارف من لا ينزع للحذمة ثوبًا، وإنْ ذابت نفسه فيها ذوبًا.

العارف من لا يرى شيئًا غير معروفه، ولا يجزع عن نوب الزمان وصروفه.

في المحبة والمحب

المحبة محنة في القلوب، يصلها هجر المحبوب، وجمرة في الضلوع يشعلها سكر الدموع.

المحبة علة هائلة، تذوب بها الجسوم،[3] وسريرة خافية يبديها الدمع السجوم[4]، المحبة جراحة فيها ألم وراحة.

المحبة أمر جد عسير، وأسر فك أسير، غيره يسير، المحبة جرح يفيت النفس سرابته، وسقم يذيق الموت نهايته.

علامات المحب:

طرف[5] المحب بالسهاد مكتحل، وقلبه في حال الإقامة مرتحل، ينام الناس وهو

(١) أي: دائم التفكير في مظاهر قدرة الله تعالى.

(٢) حذم الشيء: أسرع فيه، قال عمر ﷺ: إذا أذنت فترسَّل، وإذا أ قمت فاحذمْ.

(٣) الجسوم: الأجسام.

(٤) السجوم: سجم الدمع: سال.

(٥) طرف: عين المحب، والسهاد: الأرق يقول بشار:

إن العيون التي في طرفها حور ... قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

obeikandl.com

أرق، ويظمأ الناس وهو في دموعه غرق، يستخف الحب مع ثقل أعبائه، ويلذ الغرام، وإنْ نال من حوبائه،[١] يتقلب على نار الغضاء[٢] ظمآن إلى ماء الرضاء، لا يزال قلبه خافقًا، وإنْ كان حبيبه موافقًا.

يطير قلبًا وهو مقصوص الجناح، ولا يشكو الماء وهو دامي الجراح، لا يعرف مداويًا غير مداويه[٣]، ولا شافيا غير شافيه ومداويه، همه لازب لا يزاح، وصبره عازب لا يراح، ما له إلا دمع هام، ونفس حام، وحزن دائم، في قلب دامٍ.

في الزهد

الزهد في الدنيا يقيد الرغائب، ويهون المحن والمصائب، الزهد يزيح الحزن، ويريح القلب والبدن.

الزاهد هو:

من لا يسره وصل السلطان، ولا يسوؤه هجر الأوطان، الزاهد مَنْ أخَّر نفسه عن الناس، وقدم ماله ليوم الإفلاس، الزاهد من يستوي عنده الوجد[٤] والعدم، والأرباب والخدم، الزاهد من يرى الذهب مشبه الشبه،[٥] ويزهد في الحلال فضلاً عن الشُّبهَ.

الزاهد من يرى المال أوثق عقال، وينظر إلى الدنيا بعين قال،[٦] الزاهد من يزهد في إظهار الزهد، ويرغب عن الوجد بغاية الجهد، الزاهد من يرى شهد الرياسة مسمومًا، وحب المحمدة مذمومًا، الزاهد من يحترس من الناس احتراسًا، ولا يرفع بأهل الرياسة رأسًا.

(١) الحوب: الإثم.
(٢) الغضاء: الجفاء والقطيعة أي الابتعاد.
(٣) مداويه: أي محبوبه.
(٤) الوجد: الموجود، والعدم: المعدوم.
(٥) الشِّبه: ضرب من النحاس.
(٦) القالي: المبغض الكاره.

obeikandl.com

عاقبة الزاهد لمنفعة دنيوية:

من زهد في الدنيا لجر المنافع، ودفع الناس قدره في المجامع؛ صار منصومًا للداهية الكبرى، ومخفوض المنزلة في الأولى والأخرى.

في التوكل

التوكل أن تكون عن الطلب متنابيًا، وإن كان ضرك متناهيًا،[١] التوكل أن تثبت قدمًا، وإن امتلأت الدنيا نارًا أو دمًا، التوكل الثقة بضمان الرحمن، والأمنة في مخاوف الزمان.

جزاء التوكل على الله:

من توكل على الله كفاه للمهمات،[٢] وكف عنه أيدي الملمات،[٣] من توكل على الخالق فتح له جميع المغالق، من توكل لما وجب وجد الوجد وما طلب، مَنْ توكل كما ينبغي تمكن بلا تعب مما ينبغي، من توكل نضر أوقاته، وحضر من الغيب ما يفتاته.

من توكل على الله فيما ينوبه[٤] لم يؤثر فيه مخالب المكروه نيويه، المتوكل من إذا لحقه بؤس لم يُر في وجهه عبوس،[٥] وإذا مسَّه ضرورة لم يشب[٦] صفاء وقته كدورة.

المتوكل من يشكر عند العدم، ويلقى الأهوال ثابت القدم، المتوكل في خير وصلاح، وأوفى خيل وسلاح.

في التقوى

التقي من يدوم تعبه لراحة الآخرة، ويطول سهره لذكر الساهرة[٧].

(١) متناهيًا: كبيرًا عظيمًا.
(٢) المهمات: جمع مهمة، وهي الأحزان، والمهم: الأمر الشديد.
(٣) الملمات: المصائب التي تحيط بالإنسان.
(٤) ينوبه: يصيبه.
(٥) العبوس: الغضب.
(٦) يشب: يغير.
(٧) الساهرة: اسم من أسماء القيامة.

التقي من يتقبل خوف القطيعة صيامه، ويطول حذرًا لقيمة قيامه.

التقي من لا يلد يومًا خوف البيات، ولا يُسرُّ يومًا لطول الحياة.

التقي من يتجافى[١] عن المضجع جنبًا، ويرى حسنته سيئةً وذنبًا.

التقي من اختار التهجد على الهجود، وأحيى الليل بالركوع والسجود.

التقي من انزجر بالزواجر، فصبر على سهر الدياجر[٢]، وظلماء الهواجر[٣].

التقي من خاف مقام ربه، وأبغض كل معصية لحبه.

التقي من يعصي الهوى حبًّا للطاعة، ولا يهدأ ساعة من هول الساعة.

التقي من يخاف ربه إذا خلا، ويرى المرارة في العيش إذا حلا.

التقي من لا يخلو من خوف المعاقبة، وإن وفى بشرط المراقبة.

في الرضا

الراضي من يقر في الزلازل[٤]، ويركب الصبر في النوازل[٥]، الراضي من لا يعبأ بعبء الشدائد، ويهدأ في الرزء الهائل الهائد، الراضي من يثبت كالطود[٦] وقارًا، وإنْ حمل من البلاء أوقارًا.

الراضي من يلقى بالتسليم صدمة الرزء الأليم، الراضي من يستهين بالشدة ركانةً، ولا يستكين للمحنة استكانةً.[٧]

---

(١) تتجافى جنوبهم: تجافى جنبه: نبأ أي حدث بينه وبين الفراش جفاء، أي: قطيعة، ومنه قوله تعالى: **+تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ"** [السجدة: ١٦].

(٢) الدياجر: الظلمات.

(٣) الهواجر: جمع هاجرة، وهي: نصف النهار عند اشتداد الحر، والتهجر: السير في الهاجرة.

(٤) الزلازل: الاضطرابات.

(٥) النوازل: ج نازلة، وهي المصائب التي تنزل بالإنسان.

(٦) الطود: الجبل، وعليه قوله تعالى: **+كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ"** [الشعراء:٦٣].

(٧) الاستكانة: الضعف.

الراضي من لا يحوم حول المنى،[1] ولا يروم عند تناهي الفقر الغنى، الراضي من لا يشكو الضر، ويستحلي القضاء المر، الراضي من لا يملُّ البلاء، وإنْ طال ثوًا[2]، ويعدُّ شدة العيش ولينه سواء.

الراضي من يسلم للأقدار كيف جرت، ولا يتحسر على وصل النعمة إذا هجرت،[3] الراضي من إذا رُمي بمحنة لا يبالي، ولم يبت لها كاسف البال،[4] وإن كانت مسمومة النبال، الراضي من لا تثلم الشدة لصبره سوارًا، ولا تكسو المحنة طليق وجهه بسورًا[5]، الراضي من يستقبل كأس القضاء غير كارهٍ، ويتلقى بأسر البلاء جد باسم.

ما ينبغي للملك أن يكون عليه ويأتيه

ينبغي للملك أن يكون ذا بأس يرتاع[6] منه الصنديد، ويهون عنده الخطب الشديد، وجودٍ يغني به العفاة[7]، ويحيا له الأموات الرُّفات، وعدلٍ يتوارد فيه الأسد والقطيع، ويخافه العاصي حسب ما يرجوه المطيع، ورأي ينجلي له العواقب،[8] ويمنى إشراقه النجوم الثواقب، وعفو يجني الجاني حلو جناه، وينجو به العاني[9] مما عناه.

الرأي اللامع: ينبغي للملك أن يكون ذا رأي لامع الشعاع جامع للأمر

(١) المنى: مفردها منية، وهي ما يتمناه الإنسان.

(٢) الثواء: الإقامة، وعليه قول الشاعر:

رب ثـــاوٍ يمـــل منـــه الثـــواء

(٣) هجرت: تركته وزالت عنه.

(٤) كاسف البال: حزين من كسوف السعادة وظهور الحزن والكآبة.

(٥) البسور: الكآبة والحزن، وهو عكس النضارة، وعليه قوله تعالى: **+وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۞ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ"** [القيامة:٢٢-٢٤].

(٦) يرتاع: يفزع ويخاف من الروع وهو الفزع.

(٧) العُفاة: طلاب المعروف والواحد عافٍ.

(٨) ينجلي: يكشف ويتضح.

(٩) العاني: الأسير، وعناه: اقترفه من الإثم.

الشعاع[١]، وجودٍ يفيض على العفاة عفوًا، ويعفو آثار الاستئناث عفوًا، وعدل يذل فيه الذئب للشاة، ويضل به سعي السعاة والوشاة[٢]، وبأسٍ[٣] يقوم بإرغام أنف الضرغام، [٤] وإعدام بأس الباسل المقدام.

ينبغي للملك أن يكون ذا رأي لا يعدوه[٥] السداد، وعزمٍ لا يثنيه الأسداد، [٦] وحلمٍ لا يوازنه الطود، وجودٍ لا يساجله الجود، وبأسٍ يخضع له العتاه الصِّيد، [٧] وعدلٍ يتوارد فيه الشاة والسيد.

وينبغي للملك أن يزيل عن أمور الخول عوارض الخلل، ويرسل على الجنود من آلي الإنعام[٨] والجود، حتى إذا عَنَّ له بيجار، وتخطى إليه بالمكروه جار، لم يميلوا إلى الإغفال في التهيؤ والاحتفال، وساروا تحت لوائه وأعدادهم وافية، وعُددهم كافية، وعقائدهم في طاعته صافية.

الرأي الصائب للملك ضرورة:

الملك من له رأي ثاقب كالشهاب، وجود ساكب كالذهاب، وحلم راجح كالهضاب، وبأس قاسر للقساور[٩] الغضاب، الملك من يختطف هام العدى، ويقتطف ورد العُلا بسنان كالنار حجة الضرم، وبنار يقطر منها ماء الكرم.

الملك الحق

الملك من يحيد عن شمس الراح[١٠] إلى ظل الرماح، وعن

(١) الشعاع: المتفرق.
(٢) الوشاة: الساعون بين الناس بالقطيعة والنميمة.
(٣) بأس: شدة وحزم.
(٤) الضرغام: الأسد الغضنفر.
(٥) لا يعدوه: لا يتجاوزه ولا يتخطاه.
(٦) الأسداد: جمع سد، وهو الحاجز أو الجبل.
(٧) الصِّيد: أي الشجعان الصناديد.
(٨) آلي الإنعام: أي آلاء الإنعام وهي النعم.
(٩) قاسر: قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره، والقساور: جمع قسورة وهو الأسد، ومنه قوله تعالى: **+فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ"** [المدثر: ٥١].
(١٠) الراح: الخمر، ظل الرماد: آثار الحرب والطغيان.

معافرة[١] الحسان إلى مقارعة الفرسان.

الملك من يقصر عن عزمه الغرائم، ويصغر في عينيه العظائم، ويروي من سحابه المطير النهال، ويخضر في جنابه المريع النعال، الملك من يفيض ندى بنانه،[٢] ويسيل دومًا سنانه.[٣]

الملك من يبتسم جودًا في الزمن القطوب،[٤] ويضيء رأيًا في ظُلم الخطوب، ويرى برد العيش في حرِّ الحروب.

الملك من يروي الهيم[٥] جمام فواضله، ويحرق الصيد[٦] ضرام فواصله.

الملك من يحيي ميت الآمال بفيض أنامله، ويملك أوساط الأعمال باطر أو عوامله.

الملك من يبني العُلا بهدم الطُّلى،[٧] ويقني القنى بسمر القنا، الملك من يديم روض المجد ناضرًا بذابله، وربع الحمد عامرًا بنائله.

الملك من يبعد على الجارين مداه، ويقرب من الراجين نداه.

الملك من يهلك الليوث صفاحه[٨] الخذم،[٩] ويشبع الضيوف جفانه[١٠] الرذم.

الملك من يهمي بالذهب سماء سماحته، ويرمي باللهب حما حماسته، الملك من شأنه في الحرب فرس الفرسان، وفي السلم غرس الحمد بالإحسان.

---

(١) معافرة: مغازلة الحسان، ومقارعة المصارعة، والطعان.
(٢) ندى بنانه: جود أصابعه.
(٣) سنانه: سن الرمح.
(٤) القطوب: العبوس.
(٥) الهيم: الإبل الظماء، ومنه قوله تعالى: **+فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ"** [الواقعة: ٥٥].
(٦) الصيد: الشرفاء والأمراء.
(٧) الطلى: آثار الديار وهي الأطلال.
(٨) نداه: كرمه ومعروفه.
(٩) صفاحه: سيوفه؛ فالسيف العريض يسمَّى بالصفيحة.
(١٠) جفانه: جمع جفنة، وهي إناء الطعام.

الملك من يرى الطراد[١] أحرى من الطرد، والضراب أحلى من الضرب، الملك من لا يُلهيه وصل الهدى عن قطع أوصال العرى بالهندي.

سخاء الملك

الملك من إذا سخا حقق آمال الجادين، وإذا سطا[٢] قطع أوصال المعادين، الملك من إذا أنعم عدم ذو البؤس عدمه، وإذا أقدم بأس ذو البأس قدمه.

الملك من له جود يرطب به المكان اليبيس، وبامق[٣] يهرب منه الحَمْس الربيس[٤].

حب المبارزة والحرب:

هم الملك في منازلة الصيد[٥] لا في مغازلة الغيد،[٦] هم الملك في غرس المكرمات، وقطف هامات الكماة.[٧]

هم الملك الهمام في تفليق السهام، وتفريق الجيش اللهام[٨]، هم الملك الماجد في تقويم المايد،[٩] وتقليم أظفار المارد.

لا يفترع الملك أبكار الآمال، حتى يهيق كرائم المال، لا يخلو للملك ثمرة العمر حتى يجنيها بأطراف السمر.

(١) الطراد: الحرب ومطاردة المعتدين.
(٢) سطا: بطش؛ فالسطوة: البطش.
(٣) بامق: قوة وسلطان وبطش.
(٤) ربيس: الشديد القوى.
(٥) الصيد: الكرام الشجعان.
(٦) الغيد: جمع غيداء، وهي الفتاة الحسناء.
(٧) الكماة: الجنود المدججون بالسلاح.
(٨) اللهام: القوي الكثير العدد.
(٩) المايد: المضطرب وغير المستقر.

obeikandl.com

لا يضعف الملك قوى عداه، ولا يحكم عرى علاه حتى يكون دامي السيوف، داني قطوف المعروف، لا يرى الملك عيشه أخضر حتى يترك الجو أغبر والسيف بدم العدو أحمر.

صفاء ورد الملك

لا يصفو ورد الملك حتى يكثر الورد[١] والصدر، ويلبس إلى عداه العجاج الأكدر، ولا يأمن سربه حتى يقدم على المخافة.

ويستقرب فيما يرومه بعد المسافة، ولا يلبس الملك ثوب العز إلا بعد تجريد الصارم،[٢] ولا يقدم بالنجح حتى يقدم إقدام الضُّبارم[٣]، ولا يرى نهاره أغر حتى يُركب الليل البهيم[٤]، ويروي من ماء عداه الرماح الهيم.[٥]

ولا يحظى الملك بعزّ الممالك حتى يلقى غبر المهالك، ولا تقرُّ عينه برؤية المواهب إلا بعد الاكتحال بغبار المواكب، ولا يأنس بوصل الكواعب[٦] إلا بعد هجر النوم، ورعي الكواكب.

كيف يحلو الملك بالتهاني؟

وكيف يحلو الملك بالتهاني مع استحلابه طعم التواني،[٧] وكيف يحظى بغر النعم مع استمتاعه باستماع النغم، وكيف يفوز بالمأمول مع اعتكافه على شرب الشمول،[٨] وكيف يطمع في قمع المخالف مع رضاه بأن يكون مع الخوالف[٩].

---

(١) الورد: الورود وضده الصدر.
(٢) الصارم: السيف.
(٣) الضرام: اشتعال النار في الخلفاء بسرعة.
(٤) البهيم: المظلم شديد السواد والأهوال.
(٥) الهيم: الظامئة المتعطشة إلى الدماء.
(٦) الكواكب الفتيات التي كعب ثديهن من الجمال والبلوغ.
(٧) التواني: الضعف.
(٨) الشمول: الخمر.
(٩) الخوالف: النساء، وعليها قوله تعالى في ذم المنافقين: **+رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ"** [التوبة: ٩٣].

في ذكر حضرة الملك:

حضرة الملك كعبة المحاسن والخيرات، وقبلة الإقبال والبركات، ومطلع الميامن[1] والسعادات، ومجمع الأكابر والسادات.

حضرة الملك مكان العلا، ومعان الفخر، ومشرع الغنى، ومصرع الفقر، حضرة الملك جمة الجود، وجنة الوفود، ومصاد المرتاع، ومراد الآمال والرتاع.

حضرة الملك كعبة الكفاة، وعرفات العفاة، وحرم الخائف المسلم، ومستلم أرباب السيف والقلم.

حضرة الملك مولد الشرف والعلاء، ومورد الكرم والعطاء، ومهب نسيم العدل، ومرب أرباب الفضل والعقل.

حضرة الملك مقر الأفاضل، ومدر الفواضل، ومشعر[2] الأحرار، ومشرع الجرار.

في العدل وطيب ثمرته

كيفية العدل:

إذا عدل الملك وأنصف، وأحصد حبل الدين وأحصف، كان موصول السيادة بحسن الزيادة، مخصوص الإمارة بدوام الإنارة، محروس الولاية بعين الوقاية.

إذا مدَّ الملك يده بالعدل والإسعاف، وقصرها عن الجور والاعتساف،[3] انفتحت أبواب إرادته، وانضم شمل سعاداته، وانكسر ظهر عداته.

ثمرة العدل:

وإذا كان الملك عادلاً، وعن طريق الجود عادلاً،[4] وبحقِّ الله عارفًا، وعلى عباده

(١) الميامن: جمع ميمنة، وهي الأمور السعيدة في الخير والرخاء.

(٢) مشعر: مكان الإفاضة والراحة، وعليه قوله تعالى: **+فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ"** [البقرة:١٩٨].

(٣) الاعتساف: الظلم والتعسف.

(٤) عادلاً: عدل بمعنى بعد عن الظلم.

obeikandl.com

عاطفًا، نال مساعدة الزمان، ونام في ظل الأمان، واستوجب مزيد السناء، واستلجب جميل الثناء.[١]

وإذا كان الملك ذا عدل شامل، وإحسان كامل؛ خصَّه الله بنعم جسام،[٢] وعز سامق[٣] وسام.

إذا كان الملك ذا إنصاف واعتقاد صافٍ؛ لقي الخير في متصرفاته، ووقي نؤب الزمان وآفاته.

وإذا أخذ الملك بالقضية الرضية في رعاية الرعية، اكتسى سربال الإقبال، واستولى على آماد الآمال.

إخلاص النية في العدل

قد ينال الملك بخلوص الطوية،[٤] وسلوك نهج السوية، ما لا ينال بالجيوش القوية.

وإذا كان الملك عادلاً، وبحكم الله عاملاً، وعلى الرعية متحنيًا،[٥] وعن ناحية الظلم متنحيًا،[٦]، والآمال له طائعة، والسعود[٧] عليه طالعة، والبشائر إليه متوالية، والأيام له موالية.[٨]

(١) الثناء: الذكر الحسن.

(٢) جسام: عظيمة كثيرة.

(٣) سامق: مرتفع.

(٤) الطوية: السريرة.

(٥) متحنيًا: كثير العطف والحنان والرحمة.

(٦) متنحيًا: مبتعدًا.

(٧) السعود: اليمن، وهو ضد النحوس.

(٨) موالية: مساعدة معينة.

obeikandl.com

وإذا كان الملك حاليًا بالإنصاف، حانيًا على الضعاف؛ فالمناجح إليه مسوقة، والميامن لديه مسوقة.[١]

أخلق بالملك العادل ألا يخلق جده، ولا تكل حدة جده، أجدر بالملك العادل أن تطيب مراعيه، ولا تخيب مساعيه.

الابتعاد عن الفسق والفساد

إذا كان السلطان قائمًا بالقسط[٢] والسداد، صائمًا عن الفسق والفساد؛ منحه الله المناجح منحًا، وفتح عليه المغالق في كل منحنى، ومن كان إلى العدل استناده،[٣] ورأى فيما ولى زناده، وإذا أقام الملك العادل؛ فالعزُّ داره، والأمن جاره، والتسديد مجاوره، والتوفيق مشاوره، والأنس جليسه ومنادمه،[٤] واليمن طوعه وخادمه، وإذا سار؛ فالسعد مراكبه، والنصر مواكبه، والظفر مرافقه، والقدر موافقه، والملائكة أعداده، والأدعية الصالحة إمداده.

جزاء الملك العادل

إذا أقام الملك العادل؛ فالصلاح ملازمه وملائمه، والصواب مقابله ومقاوله، وإذا سار؛ فالسعد مساعده ومسانده، والظفر مضافره ومظاهره.[٥]

سوء عاقبة الظلم

الظلم لركن الملك موهن[٦]، وبزوال الدولة مؤذن، والظلم في عين النعمة ظلمة، وفي ركن الدولة ثلمة[٧]، الظلم قائد الهلك، وبريد زوال الملك، الظلم لبدر الإمارة

(١) مسوقة: مسرعة.
(٢) القسط: العدل، وعليه قوله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].
(٣) استناده: رجوعه.
(٤) منادمه: صديقه ونديمه.
(٥) مظاهره: معينة ومقوية، وعليه قوله تعالى: ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].
(٦) موهن: مضعف.
(٧) الثلمة: الخلل في الحائط وغيره.

كاسف، ولجناح الدولة كاسر، ولظهر الملك قاصف، ولباع العز قاصر، الظلم مُضرع لخد الجد، مُضعف لساعد السعد، مُعل[١] لجسم الدولة، مُزل[٢] لقدم الصولة.

وإذا كان الملك ظالمًا، وللرعية ضائرًا ضائمًا، [٣] وبالصلاح مخلاً، ولركوب الفساد محلاً؛ فالنوائب إليه قاصدة، والمصائب له راصدة.

والأيام له معايدة مكاوحة[٤]، والآفات معادية إياه مراوحة، وإذا جار الملك وحاف[٥]، واستعمل الاهتضام والإجحاف، صارت الأيام له متغولة، والنعم عنه متحولة.

فصل: إذا اعتدى الملك

وإذا بسط الملك بساط العدوان، وقبض يده عن العدل والإحسان؛ انتشرت الشرور في ولايته، وانطوت الصدور على عداوته، وكيف يصفو عيش الأمير، وهو مع الرعية كدر الضمير[٦]، وكيف يثبت لدولته عماد، وليس له على الله في الأمور اعتماد، وكيف تعتدل أمور الأمير وكفاته[٧] جائرة، ورعيته إلى الله من جورهم حائرة.

عاقبة الظلم:

وكأنك بالظالم، وقد أصبح رهين النحس مهين النفس كاسف الشمس خاوي الدار، كأن لم يغن بالأمس.

وكأنك بالظالم، وقد علقته مصائد المصائب، وأحرقته نوائر النوائب، وسارت حيول المحن إليه، وسالت سول النقم عليه.

---

(١) معل: ممرض؛ فالعلة: المرض.
(٢) مزل: زلت القدم: انجرفت نحو الهلاك.
(٣) ضائمًا: الضيم الذل.
(٤) مكاوحة: شاتمة وجاهرة.
(٥) حاف: الحيف: الظلم والجور.
(٦) كدر الضمير: غير نقي الضمير.
(٧) كفاته: حاشيته.

وكأنك بالظالم، وقد أصبح مكسور القوادم، منصوبًا للمحن الصوادم، مرميًا بصوائب سهام النوائب، مضروبًا بقواطع سيوف القوارع[١]، وكأنك بالظالم وقد عقم رجاؤه، وعدم رخاؤه، وأبيح ذماره، وأتيح دماره، كأنك بالظالم وقد ألفى ألف الندم، ووجد حلف العدم، كأنك بالظالم وقد نكبه الزمان، ونكسه ورفسه الحدثان[٢].

وكأنك بالظالم وقد أورده الدهر أوخم مشرع، وصرعه شر مصرع.

فصل: سوء عاقبة الظلم

إذا عثر الظالم في ظلمة ظلمه لم ينتعش، وإذا نهشته أفعى أفعاله لم يعش، كأنك بالظالم، وقد أصبح موصول العناء،[٣] مهجور الفناء،[٤] مهدوم الأركان، معدوم الإمكان، تعس الجد، ترب الخد.[٥]

فصل: في الدعاء على الظالم

أشد الكلوم ما كلمته[٦] أصابع المظلوم، قد يكلم الضعيف ببنانه، ما لا يكلمه القوي بسنانه[٧]، سهام الليل لا تتقي بالتراس، ولا ينجى منها بشدة الاحتراس، لا يجرح الفوارس بالعوامل، كما تجرح الأرامل بالأنامل، أصابع المظلوم سهام لا تطيش، والمرمي بها لا يعيش، لم تبق دولة الظلوم مع دعوة المظلوم.

اتق دعوة المظلوم:

أصابع المظلوم المهموم كالسيف المسنون، والسهم المسموم، كم عزلت دعوة

(١) القوارع: جمع قارعة، وهي الشديدة من شدائد الدهر، وهي الداهية.
(٢) الحدثان: الليل والنهار.
(٣) العناء: التعب.
(٤) مهجور: خالي.
(٥) ترب الخد: ملصق وجهه بالتراب من الذل والخزي، ومنه قوله ﷺ: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**».
(٦) كلمته: جرحته.
(٧) سنانه: السنان: سن الرمح.

المظلوم من وال، وعطلت من أحوال للعمال حوال[1]، دعوة المظلوم تورد البلية[2]، ورمية لا تخطئ الرمية.

دعوة المظلوم داعية النوائب، وأصابعه نائبة عن السهام الصوائب.

في ذكر الوزير

الوزير من تعد من قلمه القواضب، ويعتضد بقريحته التجارب، ويستنير برأيه الصواب، ويستنيم إلى ذكائه النقاب.

الوزير من رأيه يصيب شاكله الرمي، وقلمه يطول رمح البطل الكمي[3]، الوزير من لا يروغه الخطوب الهواجم، ولا يؤثر فيه النيوب العواجم.

الوزير من يرى بأول الرأي آخر الحال، ويقوم بمداواة كل خطب قبل الاستفحال[4]، الوزير من إذا جدَّ تجدع الخصم الألد، ودفع الخطب الأشد.

سمات الوزير:

لا يكون الوزير طويل ذيل الرياسة، مديد ظل السيادة، كامل أداة السياسة، وافر الحظ من السعادة حتى يؤثر نصب الحوان وخفض الجناح للإخوان، ورفع رسوم العدوان.

ما ينبغي للوزير:

ينبغي للوزير أن يكون شهم الفؤاد، يقظان الهمة، مضيء الرأي في الخطوب[5]

(١) حوال: حالة ظاهرة.
(٢) البلية: المصيبة.
(٣) الكمي: المدجج بالسلاح، والجمع: كماة، ومنه قول عنترة:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ... قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
ومدجج كره الكماة نزاله ... جادت يداي له بعاجل طعنة

(٤) استفحل الأمر: كبر وعظم.
(٥) الخطوب: المصائب، ج: خطب.

المدلهمة[١]، ينبغي للوزير أن يفل[٢] شباة الأشرار، ويجمع شتات أمور الأطرار[٣]، ينبغي للوزير أن يكون ذا همة لا تذوق غرارًا، وعزمة لا تكلّ غرارًا.

فصل: في تقليد الوزارة من هو أهلها

إذا صارت الوزارة إلى الحازم الهادي العارف بأعجاز الأحوال والهوادي جرت الأمور أحسن مجاريها، وفازت الرعية بعيشة تحلو مجانيها.

فإذا اعتنق الوزارة كافيها، واعتلق الولاية الواقف على خافيها؛ فاز الأمير بعيش صافٍ، واستحصف حبل المملكة أتم استحصاف، ونجت الرعية من الرسوم المبتعدة، وجنت ثمر الأنس في ظل الدعة.

إذا صارت الوزارة إلى الفائز بآلاتها، [٤] العارف بحالاتها، الناهض بأعبائها[٥]، الخبير بأنبائها؛ سكن نفوس الهماء[٦]، وسكب غيوث النعماء، وورى زناد الأعمال، وروى ظماء الآمال.

فصل: إذا تولى العمل العامل العادل

إذا تقلد الأمر العالم العاقل، صحَّ بدن المملكة، وسجَّ مطر البركة، وإذا ندب للعمل الندب، وانتخب له الفاضل النجب[٧]، همى قطر الفواضل، وسما قدر الأفاضل، وتوارى المنكر[٨]، وتوالى المعروف، وجنى جنى الأنس الشريف والمشروف.

(١) المدلهمة: النازلة الملمة به.
(٢) يفل: يكسر.
(٣) الأطرار: الأمور المتفرقة.
(٤) الفائز بآلاتها: المتصف بصفاتها.
(٥) أعبائها: أثقالها.
(٦) الهماء: همى الماء: سال، أي: المتعطشين للوزارة.
(٧) النجب: النجيب الفطن.
(٨) توارى: احتجب واختفى.

وإذا وزر من لاقت الوزارة به، وتاقت الولاية إلى فضله وأدبه، ابتسم ثغور الأعمال، وبرز الملك في معرض الجمال، ودرَّ خلف الخير أي مدرٍّ، وكف عن الرعية كف كل ذي شر.

فصل: إذا فوض العمل إلى الفائز بأدواته

السائس أُمَّ فر ينبات دواته، العارف بمورد الأمر ومصدره، الشارب من صفو الدهر وكدره، فقرّت[1] به عين الملك أي قرور، وسُرّت نفس المجد أتم سرور، وطلع نجم الفجر بعد هوي، ونضر غصن الفضل عن دُوِيّ[2]، وحلا جناة العيش عقب إمرار، وغدا جناب الخير خضرًا عقب اغبرار، فأسعده الله من والٍ قابل بالواجب كل معادٍ وموالٍ، وسيد قضى أيامه في قضاء اللوازم، وحاز الشكر بالشكر سنة الحازم.

فصل: إذا أفضت الوزارة إلى وليها

والواقف على خفيها؛ فضلاً عن جليها[3]، والناهض حق النهوض بأعبائها الثقال، والماضي الحظور مضاء السيف، حودث بالصقال، فبرز به الملك في أحسن حَلى وحلل، وزال من أحوال الراعي والرعية كل خلل، وعادت الدولة إلى بهجتها الأولى، وقصر باع معاديها بيده الطولى، وحوى كل فاضل من الخير أوفى نصيب، وأوى من العين إلى جنابٍ رحب خصيب، فلله دره من وزير صدق أصبح للزوار وزرًا، وفريد عصر صار للأحرار عصرًا[4].

فصل: قد صارت الوزارة إلى الحازم الشهم

العالم اللامع الفهم، فصم برأيه بشر الملك، وأنقذ الرعية من مخالب الهلك، وأعاد إلى النفوس ذاهب قراها، وأخمد نار الفتنة بعد تطاير شرارها، وردَّ برشاد كل شارد،

(١) قرت: سُرت.
(٢) ذوي: ذبل وجف.
(٣) جليها: ظاهرها.
(٤) عصرًا: دهرًا.

ووقف عند مراده كل مارد؛[1] فأبقاه الله من وزير لم يكسب بالعنف جناحًا، ولم يكسر لأحدب الظلم جناحًا، ولقاه كل خير فهو به حقيق، وحرس مدته للكرم فهو له شقيق.

فقد ولي من لا يعبأ[2] بالخطب الكبير، ويرى بعين العقل وجه التدبير، ويرمي الغرض بسهم الفراسة، وجمع في السياسة بين اللين والشراسة،[3] فغدت الإمارة قوية الأسباب[4]، وانتظمت أمورها في سلك الاستتباب[5]، ورعت الرعية روض الفرح، ووردت مورد المراد المقترح، فأبقاه الله من والي أمرٍ فُزْنَا في أيامه بخير غمر، وأسعده من متقلد عمل نِلْنَا بميامنه نهاية كل أملٍ، وخصَّه كل يوم بجدٍّ جديد، فقد سدَّ أبواب الشر عنا برأي سديد.

فقد تكفل بالأمر كفيه، وتقلده من بدا له خفيه، وعادت الوزارة إلى من ارتضع درها، وعرف خيرها وشرها، وأنست بمحاسنه الغر أنس جيد الغانية بعقد الدر؛ فجرت أمور الدولة على إذلالها، وتجلت عروس الملك في معرض جلالها، فلله دره من وزير فاز بفضل فائض غزير، ومحتشم كبير، صار نجبًا بالوزارة جد خبير، وموفق حارث سماء الخير ببركاته، وسكنت نفوس الرعية بميمون حركاته.

فصل: إذا وسد الأمر إلى غير أهله

إذا انتصب للعمل ذو العماية[6]، وارتفع أخو العَمَهِ إلى ذروة الولاية؛ فذو الفضل والصرامة ناقص الحظ من الكرامة، إذا صارت الوزارة إلى ذوي النزارة[7]، فذاك أمارة زوال الإمارة.

(١) المارد: الخارج المتمرد.
(٢) يعبأ: يهتم.
(٣) الشراسة: العنف.
(٤) الأسباب: الأركان والقواعد.
(٥) الاستتباب: الاستقرار.
(٦) العماية: العمى.
(٧) النزارة: القلة.

إذا صارت الولاية إلى الغمر[١]؛ فسلام على حلاوة العمر، إذا أصبح الناقص مصدَّرًا[٢] صار عيش الفاضل مكدرًا.

إذا ولى الجاهل أمر السلطان ذلت نفوس القطان، وعزت عمارة الأوطان، إذا ولى الأمر من ليس من ولاته، وحلى به العاطل من الآية، ترب خد الإمارة، وخرب بيت العمارة.

وإذا قام ذو العمه بالعمل، وفاز الخلي[٣] من الفضل بالخول، ونال رياسة القوم الدّنب، وأصاب الوزارة من أخطأه الأدب، فاعتل جسم الملك اعتلال قام، واعوج من أمور الإمارة ما استقام، ودنت عقارب الشر كل مدبٍّ، وهبت رياح الفساد أشد مهب، واحتمل السيد عن المسود، وتحامل[٤] الكلاب على الأسود، وانخفض قدر الفضل بانتصابه، وتوارى[٥] شخص الفخر لانتسابه، فأبعده الله من وزير احتقب وزرًا، وصغير احتقر الأكابر كبرًا.

فصل: إذا قلد العامل المظلوم

إذا لقب بالأثير[٦] الأثيم الملوم، فسار في الرعية بالعسف، وسدَّ عنهم باب العفو والعطف، وكلف كَلّهم كلفًا كستْ وجه عيشهم كلفًا، وأخذهم برسوم عُدِمَ معها وجدهم،[٧] وضاق عنها وسعهم وجهدهم، ولم يدع محظورًا إلا استباحه وارتكبه، ولا منظرًا إلا أنشب في نشبه مخلبه، ففي كل بيت غمة[٨] وبؤس، وفي كل قلب جراحة لا

(١) الغمر: المغمور غير النابه.
(٢) مصدَّرًا: يكون له الصدارة في المجلس.
(٣) الخلي: الخالي.
(٤) تحامل: اعتدى.
(٥) توارى: اختفى.
(٦) الأثير: المأثور.
(٧) وجدهم: ما أعطاهم الله ومنحهم، ومنه قوله تعالى: +أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ" [الطلاق: ٦].
(٨) الغمة: المصيبة، وما يغتم به.

تؤسى[1]، والله تعالى المسئول أن يحوِّل النعمة عنه بحوله، ويقصر يد تطاوله سريعًا بطوله.

إذا صارت الوزارة إلى صبي أو غبي

إذا صارت الوزارة إلى صبي غرٍّ، وغبي لم يطلع من أسرارها على سرٍّ، وجاهل لم يرد من جمام المعرفة جمة، وجائر لم يشم من روائح المعدلة شمة، فاشتغل بشرب الخمر عن سياسة الأمر، وباستماع الغناء عن فعل ذوي الغنا، وباجتناء ورد الخدود عن قضاء الحقوق وإقامة الحدود؛ فذهبت بشاشة وجه الإمارة، وردت الأرض ما أخذت من زخرف العمارة، وضاع أمر البلد والضياع، وصارت قلوب الرعية رهن الارتياع،[2] من شر شُرطٍ لا يرقبون في مؤمن إلاً، وأعوان شرط يرون أكل السحت[3] حلاً، فأبعده الله زيرًا جُعل وزيرًا، وعاجزًا بليدًا قُلِّد العمل تقليدًا.

فصل: إسناد الوزارة لجاهل

إذا أسند العمل إلى جاهل شوس، واعتُمد في رعاية الرعية على ذئب مفترس، فسار فيهم أسوأ سيرة، وقمش أموالاً كثيرة في مدة يسيرة، وطالبهم برسوم ذرعتهم[4] ثوب الإقتار، وجرعتهم مرارة التشرد في الإقتار، وكلفهم كلفًا ارتشفت أمواه أمواهم، وانكشفت عن اختلال أحوالهم، وأتى من سوء الصنيع والظلم الشنيع ما ترك النعمة خربة، وأسباب الملك مضطربة، فأخزاه الله من وال لم يحل أحد منه بخير ونوال، ورمى ما أزل إليه بأوشك زوال، فقد أتى الشر في أيامه علًى توالٍ.

فصل: إذا قدم للوزارة المتأخر في الدراية

إذا اختير للنظر ذو العماية، وصُدِّرَ[5] من لا يعرف قبيلاً من دبير، ولا يصيب في

(١) تؤسى: أسا الجرح: داواه.
(٢) الارتياع: الفزع.
(٣) السحت: الحرام.
(٤) ذرعتهم: غلبتهم.
(٥) صُدِّرَ: قدِّم.

سياسة وتدبير، فأدبر حتى غير وجه الملك، ولا وقع حتى أوقع الرعية في الهلك، ولا آل حتى آل بالأمر شر مآل، وأحال عن معهود استقامتها كل حال، ولا ساس حتى أوهى[١] من الدولة الأساس، وسلب الناس بسوراته الاستيناس، فأبعده الله من وزير وازرٍ لا يرغب في ثوارٍ، ومدبرٍ مدبر لا يخطئ مرة بصواب في الإشارة باجتناب الوزارة، إن أحببت العافية والعيشة الراضية الصافية؛ فكن بطاعة الله حاليًا،[٢] ولعمل السلاطين قاليًا،[٣] ولا تغبطن من يكرمُ تقليدًا، ويهان تقييدًا.

فصل: عاقبة العمل للسلطان والابتعاد عن العدل

من أصبح للسلطان عاملاً، وعن سنن الحزامة عادلاً، عرَّض بيته للتخريب، وتهدَّف[٤] لسهام ذوي التضريب، ومن أعرض عنه وتولى ولزم المنزل، وتخلى سلم دنيا ودينًا، وراح للراحة قرينًا.

أسباب الإقبال على السلطة:

وإن رغبت في عمل لم السلطان للعائدة العمية؛ فازهد فيه للعاقبة الذميمة، وإن أحببته للاسم والتقدم، فأبغضه للإثم والشّدُمِ.

فصل: إذا عرض عليك عمل السلطان

فانظر في النكبات الصارعة، لا في الرتبات الفارعة[٥]، وفي المغاب السائبة، لا في المحل السامية؛ لتعلم أن الاعتزال أسلم وأسمى، والانزواء[٦] أحمد وأحمى، وأن القليل من المال إذا صانك خير من الكثير إذا أورث نقصانك.

(١) أوهى: أضعف.
(٢) حاليًا: متحليًا.
(٣) قاليًا: مبغضًا.
(٤) تهدَّف: أصبح هدفًا.
(٥) الفارعة: العالية.
(٦) الانزواء: الابتعاد.

فصل: صاحب السلطان بين الخوف والرجاء

صاحب السلطان بين رجاء لعينه مقرّ[١]، وخوف بنفسه مُضر، فإن رضي حظي لديه، وإن غضب عطب في يديه، وكذا البحر ينيل ويغرق، والجمر ينير ويحرق.

ومن أصبح لأشغال السلطان معتنقًا، ولأسباب خدمته متعلقًا؛ كان مترددًا بين فرح لصدره شارح، وترح لقلبه جارح؛ لأن رضاه يقضي له بنظام الأحوال، وسخطه يفضي به إلى عظام الأهوال، وكذا السحاب يرجى ديمه[٢] المروية، وتخشى صواعقه المودية.[٣]

فصل: في ذكر البلغاء والكُتَّاب والشعراء

البليغ هو:

من يأسو[٤] بكلامه كِلام[٥] القلوب، ويملك بخطابه خطام المطلوب، البليغ مَنْ كلامه مرقق للقلوب القاسية، ومقرّب مسافة المطالب القاصية.

البليغ من إذا قال حلَّى وزيَّن، وجلَّي وبيَّن، ألفاظ البليغ للقلوب خالبة[٦]، وللسرور جالبة، وللعيوب قالبة.

الكاتب من خطه في روض الكتابة زهرٌ، ولفظه في عقد الفصاحة جوهرٌ، الكاتب من إذا مشق[٧] عشق، وإذا أعرب[٨] أطرب، الكاتب من إذا نثر حاك مطارف الألفاظ وشفوفها، وإذا نظم صاغ أساور المعاني وشنوفها.

الكاتب من خطه زهرٌ جلي، ولفظه رطب جني، الكاتب من كتابه يردُّ الكنيب،

---

(١) مُقر: يسر العين.
(٢) ديمه: أمطاره.
(٣) المودية: المهلكة.
(٤) يأسو: يداوي.
(٥) كلام: جراح.
(٦) خالبة: آسرة.
(٧) مشق: المشق: سرعة الطعن والضرب، وجارية ممشوقة: حسنة القوام.
(٨) أعرب: أفصح.

ويسرٌ الكئيب، الكاتب من خطه مُخْجِل يُمنة اليمن، ولفظه يُسهل حزن الحزن[1]، الكاتب مَنْ كتابه آسٍ[2] للجراح، آتٍ بالأفراح، سار للهموم، زارٍ على الروض المرهوم.

الكاتب مَنْ خطه حاوٍ للحُسن، ولفظه نافٍ للحُزن، وخاطره مزرٍ بالمزن، الكاتب من خطه روضي، ولفظه رضيٌّ، وطبعه منقاد، وخاطره ميقاد.

في وصف الخط واللفظ

خطٌ كخدٍّ تلألأ بشرًا، ولفظٍ كلحظ امتلأ سحرًا، خطٌ كروضة التلاقي، وحُمرة الحلي في بياض التراقي، ولفظ كنغم القيان، وتناجي المحبين بعد طول البين يلتقيان.

خطٌ أحسن من غرة الوفاء، ومبتسم الروض غِبُّ الديمة الوطفاء، ولفظ يُنسي لمآت الغيد، ولذات العيش الرغيد[3].

خطٌ أحسن من زمن المراح، ولفظ أفتن من صدق الملاح، رُبَّ خطٍ أبهى من الروض طُلّ زهره، ولفظ أشهى من النوم لمن طال سهره.

رُبَّ خطٍ آنق من الروض غِبّ الجود، وأنس وصل العروب[4] الخود، رُبَّ خط يُخجل زينة العروس، وخِطابٍ يكسو البِشر وجه العبوس.

خط على الروض نديان، ولفظ يروي سلساله الصَّديان، [5] ورد كتابه فكست به ثوب الطرب، ونسيت له ذوب الضرب، ورد كتابه فنلت من الأنس به أوفر أحاظٍ، ونسيت لحسنة ورد خدودٍ وسحر ألحاظ. [6]

---

(١) الحزن: الشديد.

(٢) آس: مداو.

(٣) الرغيد: الكثير.

(٤) العروب: الفتاة من الحور المتحببة لزوجها، ومنها قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٧].

(٥) الصَّديان: الظمآن من الصدي، وهو الظمأ، وعليه قول الشاعر:

والنهر يشبه مبردًا ولأجل ذا يجلو الصدى

(٦) ألحاظ: العيون الجميلة الحوراء.

وصل كتابه فابتسم عن ثغر البداعة والعزابة،[1] ونطق بلسان البراعة والذرابة[2].

فصل: كتاب الأمير

طلع كتابه طلوع السلامة لأسلمي، والسعادة لأسعدى، والنعمى لأنغم، وجميل الصنع لأجمل.

ورد كتابه فنشرته عن أحسن من طرائف الربيع، وطرائف البرد، الرفيع، وأطيب من نوافح[3] وصل الحبايب، ونوافح أنفاس الجنائب، وقابلت به وجه إقبال وسعدٍ، واجتليت بمطلعه طلعة دعدٍ[4]، زارت من غير وعدٍ.

كتابه الأنيق متأملاً الأنيس متحملاً، طلع فاطلعت منه على جنةٍ جناها دانٍ[5]، وروضها بزهر الزهر جد مزدان، وفهمته متسليًا به عن وصل سلمى، وكل رشاءٍ رشيق القد ألمى، راغبًا إلى الله تعالى في أن يبقيه فاضلاً، أضحك فم اليراعة،[6] وأنطق لسان الخطابة بألفاظه المستطابة.

كتابه الحاوي للحسن واللطف، الحاكي للروض غِبّ الديم الوُطف، ورد فسررت سرور الساري بطلوع القمر المنير، والصادي[7] بورود الماء النمير.

كريم كتابه ورد بخط كالزهر غب[8] الذهب، ولفظٍ كعقد الدر مفصلاً بالذهب، وسررت به سرور الغل[9] بالمطر، والمقل بنيل القنطار، وقرأته راغبًا إلى الله تعالى في أن

(١) العزابة: البعد.
(٢) الذرابة: الفصاحة.
(٣) نوافح: أنفاس.
(٤) دعد: إحدى معشوقات الشعراء في الجاهلية.
(٥) دان: قريب.
(٦) اليرًاعة: القلم.
(٧) الصادي: الظمآن.
(٨) غِبُّ: غبُّ كل شيء عاقبته.
(٩) الغل: الغليل شدة الظمأ.

يبقيه سيدًا اتسع في الفضل مجاله، وفاض في الأفضال سجاله.

فصل: أثر كتاب الأمير في نفسي

لطيفة مولاي وردت؛ فآنستني نشرًا، وآنستني الروض حُسنًا ونشرًا، بين نظم كالعقد النظيم، في نحر الغادة، ونثر كالورد النشير في يدي القيان، فلله درّه من شاعرٍ مفلق يفلق الشعر، وكاتب مبدعٍ يخجل الزُّهر والزَّهر.

فصل: جمال الخطاب وروعة أسلوبه

ورد كتابه أحسن من خدود ذوات الخدور،[١] وعقود الدر في نحور الحور، فراحت منه رائحة الأناب، وفرحت به فرح المسافر بالإياب،[٢] وقرأته راغبًا إلى الله تعالى في أن يبقيه فاضلاً؛ ثم به بهاء الفضل وجماله، واتسع له ميدان الفخر ومجاله، ويسهل لنا تدانيًا متنائي القطرين، وتلاقيًا غير متلاقي الطرفين، فنرتع[٣] في روض الوصال، ونلعب ونقصُّ جناح غراب بفراقنا نعبه.[٤]

ورد كتاب مولاي أحسن من زمن الشباب، وأطيب من الورد غب صوب الرَّباب،[٥] فوطئت بقرانه فرق الفرقة، وفللت[٦] بتفليه غرب الغربة، ولم أستبدع منه مع همته الواسعة المنادح، وشمته التي جلت عن مدحه المادح في أن يكرم على القرب إخوانه بزيارته وسلامه، ويجبى إليهم مع البعد ثمرات كلامه كالبحر يقذف للقريب نفائس الدرر، ويبعث للبعيد سحائب غزار الدرر.

فصل: الكُتَّاب أمناء الأمراء

ونجوم جلساء الرؤساء، كتبهم مطايا غز العطايا، ويريد الدَّواهي والرزايا، إنْ

(١) ذوات الخدور: النساء الجميلات المختفيات في الهوادج.
(٢) الإياب: الرجوع والعودة من السفر.
(٣) نرتع: نلعب ونلهو.
(٤) نعبه: نعب الغراب: صاح، والنعيب صوت صياح الغراب.
(٥) الرباب: السحاب الأبيض.
(٦) فللت: كسرت.

نظروا فتحوا أبواب الصواب، وإنْ ناظروا أفتقوا[١] كمائم[٢] المسائل بالجواب، فلله درهم من قوم ذوي أحلام[٣] رجاح، وأقلام تدمي بغير جراحٍ، وألسنة لُدٍّ فصاح، تنوب عن بيض صفاح.

فصل: اختيار الأصحاب

صاحب أقوامًا أقلامهم أشجار تثمر الحتوف[٤] والفتوح، ورماح تجرح العدى وتأسو الجروح، تظفر منهم بكل فارس في ميدان الإعراب[٥]، مالك لعنان الإغراب، فاضل مجلسها، حسن من الروض متصلاً بالغدير، ومنطقه أسحر من لحظ الرشا[٦] الغرير، يُخجِّل خطه العصب، ويذلل خطابه الخَطبُ الصَّعبَ.

لله درُّ عصابةٍ ذوي فهمٍ وإصابة يحلو كلامهم كجنى العواسل،[٧] وينوب أقلامهم عن السمر العواسل، لا يعدم الرشد مشاورهم، ولا يفقد الأنس محاورهم، إنْ حضروا الديوان كسوه زبرجًا، وصيَّروه بنسيم فضلهم أرجًا،[٨] وإنْ غابوا عنه تركوه مسلوب الأنق، معدوم البهاء والرونق.

فصل: الشاعر

الشاعر من ألفاظه للمعاني قوالب، ومعانيه للقلوب خوالب،[٩] الشاعر من ألفاظه رائعة، ومعانيه بالألفاظ لائقة.

---

(١) أفتقوا: فتحوا.
(٢) كمائم: خفايا.
(٣) أحلام: عقول.
(٤) الحتوف: الموت.
(٥) الإعراب: الإفصاح.
(٦) لحظ الرشا: عيون المها الجميلة.
(٧) العواسل: الشغالات من النحل التي تجمع العسل.
(٨) أرجا: الأرج رائحة الزهر وأريجه.
(٩) خوالب: تأسر القلوب.

الشاعر من ألفاظه تصبي الغواني[١]، ومعانيه تزري بسحر عيونهن رواني، الشاعر من ألفاظه إلى القلوب محبوبة، ومعانيه في قالب القبول مصبوبة.

الشاعر من ألفاظه تُهدي إلى الأرواح نسيم الأفراح، ومعانيه تزيد العقل، وإنْ لعبت به لعب الراح[٢].

الشاعر من ألفاظه تمتزج بالروح رقة، ومعانيه تجلُّ عن السحر زقة،[٣] الشاعر من يروي بسلسال شعره الرُّواة، ويهتزُّ لانتساخه القلم والدَّواة، الشاعر من أشعاره زائنة للدفاتر، فاتنة كالجفن الفاتر، الشاعر من إذا أنشأ أغرب، وإذا أنشد أطرب، الشاعر من إذا شبب[٤] رقق، وإذا شبَّه حقق، وإذا مدح ملَّح، وإذا أوجز كفى وأعجز، وإذا أطنب[٥] أطاب وأطرب.

فصل: قول الشعر لمن هو أهله

قصائدك يا سيدي كقصائر الحجال،[٦] خالبة لقلوب الرجال، فصنها عن الامتهان والابتذال، واعضلها عن اللئام والأنذال، فاختر لها كرامًا يحسنون عهدًا وعقدًا، ويعطون مهورها الوافرة نقدًا، فليس من حقِّ الرواة إهداؤها إلى القرود.

فصل: المدح لمن يستحقه

أغار على أشعاري الغُر، وأصونها جهدي صيان الدر، حتى أظفر بلزم يقضي حق الأشعار، ولا يغضي على الذم والعار، فأهدي إليه نفائسها، وأجلو عليه عرائسها؛ لأن من حقِّ الشعر الجيد ألا يمدح به غير الكريم السيد، وكثير من الشعراء المشاهير ممن شعرهم آنق من الأزاهير؛[٧] يجرون على غير هذا المذهب، ويجلون على

(١) الغواني: جمع غانية، وهي التي استغنت بجمالها عن الزينة.
(٢) الراح: الخمر.
(٣) الزق: السِّقاء.
(٤) شبب: التشبيب: الغَزَل.
(٥) أطنب: الإطناب: الإسهاب وبسط القول.
(٦) قصائر الحجال: خصلات شعر الجميلات.
(٧) أزاهير: جمع الجمع لكلمة زهرة، ج: زهر، ج ج: أزاهير.

obeikandl.com

اللئام عقائلها، في الخبير المذهب بكم قصيدة اكتحلوا في سبكها، بمزاود الأرق، ونثروا في نظمها لآلئ العرق، ثم مدحوا بها من يصلح له المقود[١] لا القلادة، ويستوي عنده البلاغة والبلادة، فما قضى معشار حق القائل، ونظر بعين الاحتقار إلى تلك العقائل.[٢]

فصل: في الأدب

الأدب حلية العليّة، وحُلَةُ الجُلّة، الأدب روضة فرح، تقرُّ العيون بإجلائها، وحلة شرف لا يطمع الجديدان في إبلائها، كواكب الإرب لا تغيب، وكواعب الفضل لا تشيب، الأدب المنتقى خير من الذهب المقتنى، لا تنالُ عِزّةُ الأدب إلا بذلة الطلب، ولا يحصل لك الأدب حتى يذهب منك الذَّهبُ، ويأخذ نصيبًا من جسمك النَّصبُ[٣]، لا تأس على ذهاب الذهب إذا اقتنيت به جواهر الأدب، عليك بالأدب فهو خير ما يُستفاد، ومال لا يخاف عليه النفاد،[٤] الأدب مال يزيد بالإنفاق، ومقيم يسير في الآفاق، مَنْ شُغف[٥] بالأدب وكلف واعتاد الدرس وألف[٦] لم يفته الجاه والفوز بما رجاه، من غني بالدرس وعني في الغرس جنى ثمرة العيش حلوة، ونال عند الكرام حظًّا وحظوة، مَنْ خلت في الدراسة أوقاته، علت في الرياسة مَرْقاته،[٧] مَنْ سار طالبًا ساد مطلوبًا، ومن جدَّ قاصدًا جَلَّ مقصُودًا، ومَنْ دار سائلاً دام مسئولاً.

من اعتنى بالأدب اعتلى غارب[٨] الأرب، ومن اشتغل عن الطلب بالطرب لم يفز بالأدب من كلام العرب.

---

(١) المقود: حبل يسحب به الحيوان.
(٢) العقائل: ج: عقيلة، وهي القصيدة الجميلة التي تأسر العقل لحسنها.
(٣) النصب: التعب.
(٤) النفاد: الانتهاء.
(٥) شغف: أحب الأدب، وملك عليه شغاف قلبه.
(٦) ألف: اعتاد.
(٧) مرقاته: مراتبه ومنزلته.
(٨) غارب: ظهر.

أخلق بمن كان معشوقه السِّراج،[١] وبستانه الكتب والأدراج؛ أن يفوز بالعيش الناضر، ويصير صدر المحاضر.[٢]

في وصف الكتب

الكتاب صدف دُرر يجل عن الثمن، وأصوان حُلَل تَجدُّ[٣] على مَرِّ الزمن، الكتاب مئة فضل تليق بالعقلاء، وحقة حَلْيٍ يُحلَّى به جِيد العلاء.[٤]

الكتاب عشيقة يعشقها أهل السعادة، وحديقة يرتفع فيها أحداق السادة، الكتاب جنة يجتنى ثمارها كل حين، ويجتلى رياضها كوُجوه حورٍ عين.

الكتاب مورد فهم يُروى كلما وردت، ومعدن فضل ينيل أي وقت أردت، الكتاب ذخيرة أدب تبقى على مرِّ الأحقاب، وكريمة شرف تحظى عند ذوي الأحساب.

كتاب الأدب كنز اليواقيت[٥]، وجليس يفيد قربه بعد الصيت، الكتب أصداف[٦] تحوي جواهر زواهر، ورياض تُهدي روائح فوائح.

قيمة مطالعة الكتاب:

مطالعة الكتاب ألذ من مطاوعة الكتاب، وصياتل الأذهان والخواطر، ورياض نواضر النواظر، والموفق من يجعلها الجلساء، ويأنس بقربها صباحًا ومساء، ويُصبِّر روحه لها صونًا، ويتخذها من دون إخوانه إخوانًا، حتى يصير بحفظ ما فيها، وتصور معانيها مقصود الدار، محمود الإيراد والإصدار.

فصل: أهمية الكتاب

كتب يُظفر منها بالغرائب، ويزهد معها في الرَّغائب،[٧] تقرُّ بها عينا

(١) أخلق: أجدر، وهو أسلوب تعجب.
(٢) صدر: في مقدمة المجلس.
(٣) تجد: تتجدد.
(٤) جيد العلاء: عنق الرفعة والشرف.
(٥) اليواقيت: الجواهر والمعادن النفيسة.
(٦) الصدف: صدف الدّرة غشاؤها.
(٧) الرغائب: الرغبات.

obeikandl.com

أعيان[١] الرجال، وتقصر عنها حُسنًا قصائر الحجال[٢]؛ فهي جنان حكم ونوادر عن صدور الأفاضل، صوادر قد سقيت صَوْب الخواطر لا صوب السُّحب المواطر، تزهر فيها الأزهار، ما اختلف الليل والنهار، وتحلو منها الثمار؛ ما صحب الناس الأعمار.

فصل: حفظ الكتب والأوراق

احفظ الدفاتر غير وانٍ، وصنها جهدك في أنقى صوانٍ؛ فإنها خرائد[٣] غالية المهور، وذخائر تهدي الدهور، وحدائق تجني وردها كل وقتٍ طريا، وترد وردها فتجدُ منه لصداك[٤] ريًّا، ولا تعرها إلا فاضلاً أثيرًا، قد أنفق على الأدب مالاً كثيرًا، ليأخذ حظه من الأنس بُرودها، ويطوي بساط الغم بنشر بُرودها، ثم يردها ببابها وروعتها مُعطرة بنسيم المحمدة، وامنعها كل ناقص نذلٍ لم يرتح في التأدب لإنفاقٍ وبذلٍ؛ فالنعم[٥] لا تدري ما النواعم، والغنم لا تعرف ما الغنائم.

فصل: صيانة الحكم عن الجهلاء

صُنْ الحكم عن ذوي الجهل، وغِرْ عليها غيرتك على الأرض؛ فليس يُهدى الفَقر إلى البقر، ولا ينشر الغُررُ عند العُرر.

وإذا طلبها الأحرار الفضلاء، ورغب فيها النبهاء والنبلاء؛ فارتح لإهداء فرائدها إليهم، وجَلْوة خرائدها عليهم؛ فالأحرار أكفاء الحرائر، وذوو البصائر أحق بالقصائر، في السؤد والرياسة، والسؤدد معسول الحلب، والمنة معسور الطلب، فدون ورود ورده واجتناء[٦] ورده جمرة تتسعر، وغمرة خوضها يتعسر؛ فابذل مالك غير ملول، واركب

(١) أعيان: الشرفاء.
(٢) الحجال: الخيول المحجلة أرجلها المزينة بالبياض.
(٣) خرائد: ج: خريدة، وهي اللؤلؤة النفيسة الغالية.
(٤) صداك: الصدى شدة العطش.
(٥) النعم: الأنعام، وهي الخيل والبغال والحمير.
(٦) اجتناء: جمع.

في طلبه كل صعب وذلول، وكُنْ مغرمًا بالنوال؛ لتناله، وإتيان الجميل لتلبس جماله.

فصل: الرياسة جِدّ فارك

إلا لتارك كنز المال، ونوارٍ إلا من سيد كثير النوال، فمن خطبها بجود غزير الجمام؛ ناولها من طرف الثُّمام،[1] ومن طلبها بالبخل والإمساك وجدها متعلقة بالشباك.

فصل: طريق الرياسة وعر

لا يُسلك إلا بمركب حسن الشيم، وقياد السيارة صعب لا يُملك إلا بيد فيضها كالديم[2]، فإن أحببتها فأتها من بابها، وإلا فاتركها لأكفائها[3] وأربابها.

فصل: إن أحببت الوصول إلى وصال الرئاسة

ففرغ لها الأكياس فعل ذوي الكياسة[4]؛ فإنها خريدة موصوفة بنوارٍ، لا يأنس بها إلا من أعطاها أوفر صِداق، ولا يرتع فيها غير سمح الخلق عنداق.

الوصول إلى السؤدد:

للسؤدد عقبة كئود، لا يقتحمها إلا صابر كدود، وهضبة مزلة، للأقدام، لا يعلوها إلا أخو الجود والإقدام.

في حصول الراحة بالتعب:

حوز الممالك بخوض المهالك، مَنْ خاض بحر التلف أخرج دُرّة الصدف، ومن ركب متن الاجتهاد نزل بمراد المراد، ومن اكتحل بغبار السفر؛ قرّت عينه برؤية الظفر[5]،

(١) الثمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص.
(٢) الديم: السحب البيضاء الممطرة.
(٣) أكفائها: أهلها الذين يستحقونها ويتأهلون لها.
(٤) الكياسة: الفطنة والذكاء.
(٥) الظفر: الفوز والنصر.

أدراع[1] الليل في الطلب يسفر عن صبح نجح الأدب.

من ركب متن الخطر حاز جلالة الخطر، ومن صبر على كد السهر فاز بالراحة عند السّحر، ومن أمسى هاجرًا منامه أصبح واصل مرامه، وكم أفضى ركوبُ الأخطار إلى درك الأوطان، والإقدام على الأهوال إلى انتظام الأحوال.

كم أثمر الجد جدًا، وأطلع السعي سعدًا، كم جنى ورد الجدِّ من وطئ شوك الكدِّ، وكم وصل إلى الخير مَنْ وصل السُّرى[2] بالسير بشق النفس تنال النفاسة، وبطول النُّبه تحاز النباهة باقتحام عقبة البلاء، وتعلو نجد المجد والعلاء.

كم افتراق أثمر اجتماع الشمل، وركوب حزرٍ[3] صار المرء به إلى النبل، كم لذّة نوم نالها المكتحل بالسَّهر، وراحة إقامة حصلت بتعب السفر، كم راحة في أثناء المتاعب، وسهولة في أعطاف المصاعب، لا ينال برد العين إلا بجد الجهد، ولا بدَّ من إبر النحل دون الشهد.

في العقل

العقل مرآة العواقب، وواسطة عقد المناقب، العقل في تاج الفخر دُرة، وفي جبهة العلم غُرة، وفي عين الفضل قرّة[4]، العقل قيد المرء عن الفعلات الذميمة، وقائده إلى الخيرات العميمة.

العاقل من يحسن وردًا وصدرًا[5]، ولا يرضى فوت وقته هدرًا، العاقل من يقول صوابًا، ويفعل ما يفيده ثوابًا، العاقل من يعرف ما عليه وما له، وينفق في سبيل الخير ماله.

العاقل من يشتغل بالأهم، ويلقى بالصبر جيش الهم، العاقل من اشتغل بنظم

(١) أدراع: قضاء.
(٢) السُّرى: السير ليلاً.
(٣) حزر: محذور.
(٤) قرّة: ما تقر به العين، وترتاح إليه وتسعد به.
(٥) الوردُ: الورود والذهاب إلى الشيء، وضده: الصدور أي: الرجوع.

أسبابه، وآتى كل أمره من بابه[١]، العاقل من أيامه بالخير موسومة[٢]، وأوقاته على أعمال البر مقسومة، العاقل من نهاه عن الهوى نُهاه[٣]، وصار له حجابًا دون حجاه.

العاقل من لا يغتر بحسن الحال علمًا بسرعة الارتحال، ولا يبيت ضجيع الآمال؛ تصورًا لتقلب الزمان.

العاقل من نظر في مرآة العاقبة؛ بعين معرفته الثاقبة،[٤] فاغتنم وقته قبل الفوات، ومهَّد موضوعه أمام الوفاة.

في الصبر

الصبر يريك غصن الرجاء مثمرًا، وصبح الرخاء مسفرًا، الصبر يسفر عن بلوغ الأمل، ويظفر بالنجح الأكمل، والصنع الأجمل، الصبر يجلو[٥] الظلماء، وينفع القلوب الظلماء؛ بفتح الباب المغلق، ويجدد الجدَّ الخلق، الصبر ينعش الجدَّ عقب عثاره، ويُطلع السعد بعد عَباره.[٦]

الصبر يقشع غمام الاغتمام، ويعيد كدر العيش صافي الجمام[٧]، الصبر يجلو ضباب التَّرح، ويفتح باب المفترح، الصبر قالمٌ[٨] لظفر الترح، وقادم بغائب الفرح.

الصبر كاشف لضروب[٩] الكروب، وقاشع[١٠] لغيوم الغموم، الصبر قائد الظفر، ورائد السرور الأوفى، بالصبر يعود العسر يسرًا، وقطوب الخطوب بِشرًا.

(١) من بابه: من مدخله الصحيح وطريقه المشروع.
(٢) موسومة: مطبوعة.
(٣) نُهاه: عقله.
(٤) الثاقبة: النافذة.
(٥) يجلو: يزيل ويكشف.
(٦) عباره: ذهابه.
(٧) الجمامُ: الراحة.
(٨) قالم: قاطع.
(٩) ضروب: أنواع.
(١٠) قاشع: مزيل.

بالصبر تنحل العقدة، وتنفك العقلة،[١] وتنكشف الغمة، وينقع الغُلَّة، بالصبر تنال المراد، ويلان المراد، بالصبر يصلح الفاسد، ويكبح الحاسد، بالصبر يُصلح الأمر، ويُحصَّل الأجر.

بالصبر يُجتلى وجه الفرج، ويُعتلى متن الفَلَج[٢]، بالصبر يُنجى من البلاء، ويُجنى ثمر العلاء، أوّل الصبر مُر كالصاب، وآخره حلو كأري اللعاب.

أخلق بالمصطبر أن تطعم الأرى بعد الصبر، من جعل الصبر عتاده؛ وصل به إلى ما ارتاده، من صبر رويت حوائم آماله، ولقحت حوائل أحواله، ودنا قطاف اقتراحه، واتصل قطار أفراحه، كم فك الصبر مأسورًا، وأعاد المعسور ميسورًا، رُبَّ قرامٍ دونه خَرْطُ القِتَاد؛ صيَّره الصبر سهل العياد.

إذا كنت حرج الصدر؛ فرّج الفرج بالصبر، إذا صبرت فرج الله عنك، ووسع بفضله عيشك الضنك، اصبر على الضر والعيش المر؛ فكم دارت في العسر مياسير، ونارت في الضيق للسعة تباشير.

اصبر فقد ينهض الجدُّ الساقطُ، ويرضي الزمان الساخط، ويزول الهم المعترض، ويقبل السرور المعرض.

أبشر يا صابر بإتيان الفرج، واستقرار الأمر بعد المرج[٣]، والفوز بعيش ذكي الأرج.[٤]

فصل: الصبر عند المظلمة

إذا هالتك مظلمة، ونالتك مظلمة؛ فاصبر ولا تجزع، وافزع إلى الله ولا تفزع؛ فكم ظلام أناره بطوله، وظلام أناره بحوله.

ولا تعن لنكبة عنتك وكربة عرتك؛ فبعد حرب الزمان صُلح، وبعد ليل الأحزان صُبح.

(١) العقلة: القيد.
(٢) الفلج: الظفر.
(٣) المرج: الاضطراب.
(٤) الأرج: الرائحة الطيبة.

فصل: في الشكر

الشكر يعيد فوائد النعم نوائم، ويعيدها من عين التمام بتمائم، الشكر للنعمة زائد، وللشاكر إلى مراده رائد[١]، الشكر بريد المزيد، وبشير الجد الجديد.

الشكر لحلة النعمة صوان، ولكتاب الزيادة عنوان، الشكر يؤثل[٢] النعمة، ويؤثر مُهادها، ويسجر الزيادة، ويستدر عُهادها، النعمة ضيف فلا ترح محتقرًا له قرى؛ فيغدو منتقلاً عنك قِلى، النعمة عروس؛ فإن تخطيتها شكرًا، ووضيتها حمدًا ونشرًا؛ حليت بوصلها[٣] ما حييت، ولقيت الأنس بها ما بقيت.

إذا هُدِيت عروس النعمة إليك، وجُلبت في معرض الحسن عليك؛ فليكن شكرك صداقها؛ قبل أن يروع روعك طلاقها.

النعمة عروس لا تأمن فركها[٤] وتوارها[٥] حتى تجعل من حُسن الشكر قرطها وسوارها، إذا لم تصادفك النعمة حسن الجوار أوحشتك بعد الأنس بالنَّوار.

فصل: في ذكر الموت

الموت منهج يسلكه الشريف والوضيع، ومنهل يرده الشيخ والطفل الرضيع، الموت ورد يُسْتَوخم تعيي كل طيب، وتعتري كل مابق لبيب، الموت ورد يستوخم ويعاف، وكأس دون مرارتها السم الذعاف.[٦]

الموت داء ليس له دواء، ومورد كلنا في وروده سواء، نحن في طريق الموت سائرون إلى دار البلى عن قريب صائرون، الموت لجمع الأحباب مُشت[٧]، ولأكباد

(١) رائد: قائد.
(٢) يؤثل: يبقى.
(٣) وصلها: دوامها وبقائها.
(٤) فركه: بغضها لك وتركها إياك.
(٥) توارها: اختفائها.
(٦) الذعاف: القاتل.
(٧) مشت: مفرق.

العباد مُفتت، حوض الحمام[١] مترع من السَّمام، ذكر المنية منغص للعيشة الهنية.

لا ينجي من المنية مفزع، ولا يجدي معها مبكى ولا جزع، كلنا ذائق للردى[٢]، وإن طال عليه المدى، وأراد لذلك المنهل بعد انقضاء المهل.

في الشوارد والفوارد

من صفا دينه من الشوب؛ فجليس العطار فائح الثوب، وباعد كل متهم القرب، فقد يعدي الصحاح مبارك[٣] الجرب، وإذا غرست بالإدناء فاسق بالاعتناء، وإذا أورقت باللسان فأثمر بالإحسان، لا خير في سعة الرباع[٤] مع ضيق الطباع، ولا في كثرة الارتفاع مع قلة الانتفاع، لا ينكر صداء الفهم في مقارنة الفدم[٥]، ولا جراحة القلب في مقارنة الكلب ظماء الأرب، وفرمه إلى فرمٍ فاض فضله وكرمه.

ذهاب أهل التمييز

آفة الذهب الإبريز، وآفة الأدب عوز[٦] الطالب، وآفة الخشيب عدم الضارب، في مضي الأجناس، ومنى رفقة وبقاء الأدناس، عدم الاستيناس بمجالسة الناس، ما حال أديب رُمى بفرقة الأجناس، ومني برفقة الأنجاس، كم يجر علم أخطأه الثمد[٧]، وطور حلم أذابه الكمد، لا ينكر نبو الحسام بكف العاجز الكهام، كم كافٍ في الأعمال خافٍ في الأسمال[٨]، تصوَّن عن الابتذال بخذمة السَّفل الأنذال، وتعال إلى طاعة المتعال؛ فإنَّ ذلك من أحمد الأفعال، لا تصاحب الأنكاد[٩] لئلا تُكاد، والأنذال لئلا تُذال، كم سيفٍ حادثه بالصقال الحوادث، وأبان جوهره الخطوبُ الكوارث،

(١) الحمام: الموت.
(٢) الردى: الموت والهلاك.
(٣) مبارك: مراتع: مكان وقوف الإبل.
(٤) الرباع: جمع ربع، وهو مكان إقامة القوم.
(٥) الفدم: العيي الثقيل.
(٦) عوز الطالب: فقر الطالب.
(٧) الثمد: الماء القليل الذي لا مادة له.
(٨) الأسمال: الشباك القديمة البالية.
(٩) النكد: الصعب سيئ الخلق.

العاقل لا يطمع في سراب يلمع، ولا يطمح[١] إلى كل برق يلمح، من ذمك فذمك عن ضلالك خيرٌ ممن أطراك[٢] فأغراك بذلك.

من صفت مياه خصاله ازدحم الناس على مَشرع وصاله، كم حُرٍّ مات من ظمأ، ولم يرد موردًا إذا حمأ، الحرُّ يحمل أثقل معزم، ولا يحتمل أخف مرغم[٣]، الحُرُّ يتجرع سُمَّ الأيم[٤]، ولا يشرب الزلال مع لحاق الضيم[٥]، الحُرُّ يؤثر فوت الرَّمق على ورود مَنْهل الرَّنق.[٦]

إذا لم تجد الحرّ مشرعًا صافيًا لم يرد، وإنْ مات مجهودًا صاديًا[٧]، الحرُّ لا يشيم إلا برق مَنْ يمطر نائله، ولا يقيم إلا عند من يسافر فضائله.

مقاساة الضر أهون على الحر من قبول هبة كاسبة لائبة[٨]، الحرُّ لا يقبل صلة تكون بالهوان متصلة، وإنْ كان مدفوعًا إلى الإمحال، وممنوًا بسوء الحال.

صفات الحرِّ:

الحرُّ حرٌّ في حالي الوجد[٩] والعدم، والتبر[١٠] تبرٌ في أذن الحسناء، والقدم، من صفات الحرِّ ألا يحتمل صغرًا، وإنْ غدا الزمان بقرع صفاته، مغرى، من ابتهج بعلائك، وانتهج طريق ولائك فارقه في حميم إكرامك، وأورده حمام إنعامك، من كرم نحره حرم هجره، ومن خان أصله شان[١١] وصله، ومن سهل أخلاقه صعب فراقه،

(١) يطمح: يتمنى وينظر.
(٢) أطراك: مدحك.
(٣) مرغم: ذل.
(٤) الأيم: الوحدة والانفراد.
(٥) الضيم: الذل بعد اللوم.
(٦) الرنق: الكدر.
(٧) صاديًا: ظامئا .
(٨) اللوبة: حجارة سوداء.
(٩) الوجد: سعة الرزق.
(١٠) التبر: الذهب.
(١١) شان: عاب.

ومن صفا للناس جَمَامه كدّر عيشهم حِمامه.[١]

مَنْ نشرت عنه الفضائل طويت إليه المراحل، من اتصل قطار سحابه انقطع الأفاضل إلى جنابه، ومن تفرق بجباية شمل المال اجتمع في فنائه ذوو الآمال، ومن طار في الأرجاء ذكر فضله وسماحته وقع اتفاق بني الرجاء على قصد ساحته.

ومن روى الحرار من عميم سقياه؛ ظمئ الأحرار إلى كريم لُقياه، حُسن العناية يستر قبح الجناية، ومن كان يهواك متحليًا ولرضاك متجريًا؛ فكن به متحفيًا، وعليه متحنيًا.

لا ترغب في الخلع السَّرية، والمنح السنية، إذا قوبلت معها بغير الوقار، ولوحظت لها بعين الاحتفاء.

من خصَّ بالعلوم الزاكية، فلا تقتصر على لزوم الراوية، ولكن تجمع بين التضدد والانزواء؛ لينتشر علمه بعد الانطواء.

إذا صار الإرشاد إلى الغاوية فليس للصدر مثل الزاوية، ما أشبه الشبه[٢] بالعقيان[٣] إذا صار النقد إلى العميان.

من قلت حسناته كثرت حسراته، المختلق بحبله يختنق والمخترق بناره يحترق.

ما لذي اختلاق عند الخال من خلاق.[٤]

كل كرامة تلقاك فسببها تقاك، وكل مكروه يندالك[٥] فبما كسبت يداك، الغبي من اعتز بالناس، والغني مَنْ اغتر باليأس.

(١) حمامه: موته.
(٢) الشبه: المزيف.
(٣) العقيان: الذهب.
(٤) خلاق: نصيب.
(٥) يندالك: يصيبك.

ما أشد أذى المهج بمجالسة الهمج[١]، وأمر مذاق العمر في مجاورة الحمر[٢]، لا يطيب عيش بمجالسة الخبثاء، ولا يصفو وقت في مجاورة الغثاء.[٣]

إذا علا أمر السفل والأزكاس، وصار طيب العيش للأنجاس؛ فاعمل على سرعة الاحتمال قبل أن يضيق نطاق الاحتمال.

لا تعجب من جاهل نال محلاً؛ فكم سيف كهام صار مُحلى.

لا تحقر من رأيته في ثوب مرقع، فكم سيف قاطع في جفن مقطع.

أي فخر للسيف بحلية القراب؛ إذا نبا[٤] عن الضربية يوم الضراب، لا يفخرن بحسن اللبس ذو الأقن؛ فليس يجدي على الكهام حلية الجفن.

لا تحمد السيف حتى تعرف فرنده، ولا المرء حتى تجد الفضل عند.

طيب الثمر مخبرٌ بكرم الأصل، وحسن الأثر معبر عن أثر النصل أي نفع في بياض الثياب مع سواد القلب من الارتياب.[٥]

كم عبدٍ عبد الله في الغباء فصارت عبادته كمنثور الهباء، أي فخر للمرء بكرم الإباء إذا كان ذا عارٍ بالعجز والغباء، ما غاب من حضر ثناؤه، ولا تأخر من تقدم ولاؤه.

من لم يقوِّمه العتاب والزجر قوَّمه[٦] العقاب والهجر، بذل الجريبة[٧] يوصل إلى وصل الحبيبة، أميرك مَنْ يترك ملك زمامك من يرعى دمامك، وخل جلك إذا لم ترع إلك.[٨]

---

(١) الهمج: غير الحضاري.

(٢) الحُمر: الحمير، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۞ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠، ٥١].

(٣) الغثاء: أناس كثيرون لا قيمة لهم كغثاء السيل.

(٤) نبا: ابتعد.

(٥) الارتياب: الريب والشك.

(٦) قوَّمه: عدله.

(٧) الجريب من الطعام والأرض: مقدار معلوم، والجريب مكيال، وهو أربعة أقفزة.

(٨) إلك: أهلك وقومك.

من ترك ما يعنيه وقع فيما يعنيه[١]، من كان في ولاية فضله؛ لم يتمكن أمير من عزله.

كيف يؤذى حسك ذوي الحسد، أخمص[٢] من وطئ فوق الفرقد.

اقصد الإنفاق ما كان على حسب الارتفاق، أنفق على قدر مالك، وحسب منالك لئلا يقعد ملومًا محسورًا.

وتبقى في مضيق الإضافة محصورًا، اترك المزح[٣] ما أطقت، وخذ في الجد إذا نطقت، فكم من مزاح جلب شرًّا غير مزاح.

الغني من يعز قنوعًا، والفقير من يذل قنوعًا، من نثر حب الإحسان صاد به قلوب الإنسان.

أَحْسِنْ فالمحسن لا يندم، وعلى ما يقدِّم يُقَدَّم، ما أسوأ حال من تخاذلت أعضاؤه، وتناصرت[٤] أعداؤه، لا تغتر بوقتك الصافي، ولا بخطك الوافي، فمع الصفو شوائب، وفي الغيب عجائب، لا تستظهر[٥] بجدك وإقبالك؛ فالمقادير تريك ما لم تخطر ببالك، ولا تكن في هذه آمنًا؛ فإن في محبوبها مكروها كامنًا، من سبر[٦] الزمان حق السبر أسا كُلوم[٧] نوائبه بالصبر.

إذا جاور العالم جهلةً رعاعًا[٨]؛ فلا عزّ وإن يصير قلبه شعاعًا، لا تلق أحدًا بالامتهان[٩]؛ قبل المعرفة والامتحان؛ فكم حُرٍّ خفي في الطغام[١٠]، خفاء التبر في الرغام.

---

(١) يعنيه: يتعبه ويؤلمه.
(٢) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.
(٣) المزح: المزاح.
(٤) تناصرت: تعاونت.
(٥) تستظهر: تطلب الظهور والرياء.
(٦) سبر: جرّب وخبر.
(٧) أسا كلوم: داوى جراح.
(٨) رعاعًا: الرعاع: الأحداث الطغام.
(٩) الامتهان: الاحتقار.
(١٠) الطغام: الرعاع: السوقي.

من كان دليله البوم لقي في طريقه الشؤم، إن لم تجد إلى الجود طريقًا؛ فالق الناس بوجهك طليقًا، كم رحل ممنو[١] بالإقلال مملو من كرم الخلال[٢].

الفخر بالأدب والنُّهى[٣] لا بالنشب[٤] واللُّهي، كم فاضت النعم على الأحمق، وفات الكيس مساك الرمق[٥].

مَنْ رزق حدًا صاعدًا تناول مرامه قاعدًا، يا بني: انفرد اليوم عن القرناء؛ فقد أخذ في الخيانة أكثر الأمناء.

العُريُ من شعار العار أفخر ملبس عند الأحرار، نقصان المرء في تمامه وولادته سبب حمامه[٦]، اصبر على ضيق العيش حتى يتسع، ولا ترفع الحاجة إلى الناس فتفتضح.

مَنْ نال عطاء البخيل حُرم، ومن انصرف عنه خائبًا غنم، أيطمع الجداع في جداية[٧]، قد كبا القُرحُ من ورائه، من حصل من مصيبة على الاستعبار، ولم يوفق فيها لحسن الاعتبار؛ فالمصيبة في نفسه أعظم وأحدُّ، والبلية في أمر دينه أدهى وأمر.

إذا بقى المأل سهل ذهاب المال، وإذا صُحَّ البدن هان سقم الحال، لا يقع موقع الارتضاء نيل نِيل بعد الاقتضاء[٨].

لا حلاوة لطعم العطاء إذا أتى بعد المطل[٩] والارطاء، كيف يرى ذوو[١٠] المقلة

(١) ممنو: مصاب.
(٢) مملو من كرم الخلال: مملوء من كريم الصفات.
(٣) النهى: العقل.
(٤) النشب: المال والعقار.
(٥) الرمق: بقية الروح.
(٦) حمامه: موته.
(٧) الجداع: قاطع الأنف، جداية: أجر.
(٨) الاقتضاء: المطالبة بالدين، وعليه قوله ﷺ: «**رحم الله رجلاً سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى**».
(٩) المطل: المماطلة في السداد، والتهرب من دفع الحقِّ.
(١٠) ذوو: أصحاب، والمفرد: ذو.

العمياء طريق السيادة والعلياء، وكيف يساوي في الجود معنى أخو بخل وعده لفظ بلا معنى.

كيف يباري في الكرم حاتمًا لئيم لم يرو بالندى حائمًا.[١]

حباب[٢] الأنكاس مثل حباب الكاس، اسمه معلوم، وفعله معدوم.

الفاضل ذو وجد وإنْ حالفه القدم، وثابت العِزِّ وإنْ زلت به القدم.

الفاضل عزيز وإنْ دفع إلى الاغتراب، والليث مهيب وإنْ غاب عن الغاب، التغلب على حدّ المهند أهون من التقرب إلى المزند[٣]، ليس للحادث الأمر غير الحازم الذمر[٤]، ولا طنانب[٥] الادّ مثل الماجد المجد.

* كم نال المرء السرور بالسُّرى[٦]، وفاز بوصل الحبيب عن هجر الكرى[٧]، لا يغمنَّك سوء ما أتى به القدر؛ فكم صفو تقدَّمه الغثاء والكدر.

* من خبر الزمان حق الخبر صبر على ما غبر على خُطوبه الغُبر.

إذا صارت الرئاسة إلى الأذناب، وصالت النقد على ليث الغاب لم يبق على وجه الزمان طلاوة، ولا لجناة الحبات حلاوة، من نقى عرضه من الأدناس؛ لم يتعرض لأعراض الناس.

* لا ينفع القرب والقلوب متباعدة، ولا يضر البعد والأهواء متساعدة[٨]؛ لا يخلو من كيد حاسد وساعٍ من سعى إلى العلا بخط وساع.

---

(١) حائمًا: حومة القتال معظمه.

(٢) حباب: الحباب: المحابة والموادة، والحباب: الحب، وحباب الماء: معظمه، وقيل: نفاخاته التي تعلوه، وهي اليعاليل.

(٣) ثَوْب مُزَند: أي قليل العرض.

(٤) الذمر: الذي يحكم الأمر.

(٥) طنائب: حبائل الخباء.

(٦) السُّرى: السير ليلاً.

(٧) الكرى: النوم.

(٨) متساعدة: ملتئمة متشابكة.

* إذا صار الأرذال زعماء؛ فلا حلاوة للعيش ولا ماء، كيف يطيب عيش فاضل عاقل بين قوم يقيسون قسًا بباقل.

* كيف يُعرف الحر في بلدة ما فيها أديب، ويراعى بين رعية راعيها ذئب، كيف يقيم فاضل أريب بين قوم عندهم الفضل غريب، يعدون العراب مع الهجن، ويعدون اللُّسن معد اللكن.

في شوارد الفصول

لا نضارة للعيش ولا ضياء في محاورة قوم جهلة أغبياء، بطبيبهم الداء العياء، ولناقدهم البصيرة العمياء يقرنون النطق بذي الخرس، ولا يفرقون بين الحمار والفرس.

فصل: العالم في قومه الجهلاء

كم فاضل في الأسمال أضاع فضله عدمُ المال، يظلُّ جائعًا بلا صيام في معشر عن العلا نيام، قد غطى على جهلهم الغنى والنعيم، وأخفى شخص نقصهم فضل الله العميم؛ فهو فيهم كالذهب في الرغام، أو القمر في ظل الغمام.

فصل: التمييز بين المتشابهات

لا تسو بين كل أديبين، وميِّز الشبه من العين[1]، وانظر بالقلب لا بالطرف، كم ينهما من القيمة والصَّرِفِ، ولا يغرنك توافق الأسماء؛ فليس سراج الأرض كسراج السماء، وقد يتوافق الشيئان لونًا، لكنهما يتباينان بونًا.

فصل: فضل الكرام

كم صارم ينأى به الوطن، وأصدأه[2] في غمد التعطل الزمن، فأصبح ضاربًا في البلاد، حتى ظفر بكريم طويل النجاد[3]، فجوده بيد إكرامه، وصقله بمدوس إنعامه،

(١) الشبه: الشبيه الزائف، والعين: الأصل.
(٢) أصدأه: أصابه بالصدأ.
(٣) النجاد: الخصال الرفيعة.

وقلده بحسن نظره ورأيه عملاً يليق بجوهره ومضائه.

فصل: ابتعد عن البليد

إلام تستضر بطول الجمام،[١] وتمنع نفسك عن الحميم[٢] والحمام، سهل يجريك أملك الصعب القياد، ولا ترض بلجام عاطل لا يليق بالجياد، وآتِ مضمارًا يجري فيه العتاق، وتثني عن الكوادن[٣] وتعتاق لتصبح بالغًا بإحضارك الأمَدَ، وتدع طرق الحسود بغبارك أرمد.

فصل: الارتحال إلى أهل الفضل

إلام تكون متوقفًا في الإمحال[٤]، متوقعا للفرج، واتساع الحال انتقل إلى أهل الآداب والمعارف، وأعرض إبريز فضلك على الصارف، وجالس منهم كل فاضل كريم النجاد، متميز بين اليواقيت[٥] وبين الأحجار، وأخرج الدُّررَ من بحر أدبك المائج؛ ليشتريها منك السادة بالثمن الرائج، ويبدو نجم فضلك بعد الخفاء، ويصفو ورد عيشك بقرب إخوان الصفاء.

فصل: إذا ابتلى العالم بقوم جُهَّال

إذا كنت في بلدٍ أهله أغمار[٦]، جواد حلبتهم كَودن[٧] أو حمار، يقيسون الحالي بالعاطل[٨]، ولا يميزون الحق من الباطل؛ فصن نفسك من الذل والهوان، واحفظ نفيس متاعك في الصَّوان، وصمم عزمك على مفارقة الكل؛ فالشهد كعلقم في بلد الذل، وجاور قومًا عندهم لبضائع الحمد رواج، وفيهم لكرائم المدح أزواج، يكرمون كل فاضل على الاستحقاق، ويعرفون مزيَّة القروم[٩] على الحقاق؛ ليصير آبي إربك

(١) الجمام: الراحة.
(٢) الحميم: الصديق الوفي.
(٣) تثني عنه الكوادن: يبعد عنه الأنذال، ويطلق الكودن على البرذون، ويشبه به البليد.
(٤) الإمحال: الجَدْب.
(٥) اليواقيت: الجواهر النفيسة.
(٦) أغمار: مغمورون جُهال.
(٧) كودن: بليد.
(٨) الحالي: الشيء الجيد النفيس.
(٩) القروم: الشرفاء النجباء.

طائعًا، وخافي أدبك ذائعًا.[١]

فصل: التنقل فيه خير عظيم

لا تقم في بلدك إلا قليلاً؛ وإنْ كنت في عيون أهله جليلاً، وتجرد للسفر والاغتراب؛ فالسيف يصدأ بطول قراره في القراب[٢]، ولا تبال ببعدك عن الوطن؛ فلا غربة على ذوي العقول والفطن.

والشريف حيث حَلَّ عينُ الشريف، والليث ليثٌ وإنْ غاب عن الفريق، وكيف يخاف غض الغربة من افتر عن ناب الدُّربة[٣]، وفاق أعيان البيان طُرًّا، وذاق نعم الزمان حلوًا ومرًا، يمضي مضي الحُسَام عند الضراب، ويجري في ميدان الفضل جري العِراب.[٤]

فصل: إذا وجدت في مكان خالٍ من أهل الفضل

إذا تنكر عن حالها الديار، وذهب من أهلها الأفاضل الخيار، ففارق إنْ أمكنك، واحتمل، وإلا فالزم مسكنك واحتمل، ودارهم[٥] دارئًا لشرهم؛ طامعًا في اجتلاب درّهم، حتى يأتي الله بالفرج، ويردك إلى عيش طيب الأرج.[٦]

فصل: لا تحكم على شيء قبل معرفته

لا تعجبن بجسيم في اللبس المستجاد، فكم سيف مُحَلّى الجَفن والنجاد، ما قطع شعرة عند تضارب الأنجاد،[٧] ولا تلق أمرًا ضئيلاً بالامتهان؛ فكم من جوادٍ نضوٍ مثل الآهان، نضا[٨] جياد الخيل يوم الرهان.

(١) ذائعًا: منتشرًا.
(٢) القراب: جراب يوضع فيه السيف، ويسمى الغمد.
(٣) الدربة: الدراية والتدريب والخبرة.
(٤) العِراب: الخيل العراب: العربية الأصيلة، وهي ضد البليدة.
(٥) دارهم: من المدارة، وهي الملاينة، درائًا: مبعدًا لشرهم.
(٦) الأرج: الأريج يعني الرائحة الطيبة.
(٧) الأنجاد: الشرفاء العظماء.
(٨) نضا: أعرق من شدة التعب والإعياء.

فصل: أنزل الناس منازلهم

لا تعجبنك من رجل جسامته، ولا تغرنك غُرته ووسامته[١] حتى تعرف ما وراءه؛ علمًا أو جهلاً، فتلقاه من الإكرام والإهانة بما كان له أهلاً، فكم جسيم رائق المنظر يتضاءل به جهله في المحضر[٢]، ونحيف تحتقره وتزدريه عند رؤية وجهه الكريه وفي ثوبه أسد مزير[٣]، وحشو قلبه أدب غزير.

فصل: نزِّه نفسك عن اللئام

استعن عن المخلوقين باليأس، واستعن بالخالق في فصل الأكياس، فإنْ لم تجد بدًّا خذمة الناس فنزِّه نفسك عن اللئام الأدناس، واخدم سيدًا كريم النَّحاس[٤] مميزًا بين الذهب والنحاس.

فصل: شاور أهل الرأي والمشورة

إذا عييت بأمر مُهم، وغنيت في خطب مدلهم[٥]، ولا تدري ماذا تصنع فيه، وكيف تحسم داءه وتكفيه؛ فاستنر برأي نقاب مُدَرّب، واستند إلى مشورة خازم مُجَرّب؛ فإنَّ رأي الحازم النقّاب يريك وجه الأمر في النقاب.

فصل: الله يدافع عن الذين آمنوا

كم حراب للضيم عارٍ من العار والذيم[٦] رماه العدى بمشاقصهم[٧] لفضائله الغُرِّ، ومناقصهم، ونصبوا له الحبائل، ولبسوا[٨] إليه الفضائل، تصبر على أذياتهم، ووكلهم إلى سوء نياتهم، فوقاه الله لمصائدهم، وردَّ في نحورهم مكائدهم، وتركهم

(١) وسامته: وجاهته.
(٢) المحضر: المجلس.
(٣) مزيز: قوي مفترس.
(٤) النحاس: الأصل.
(٥) مدلهم: واقع بالقوم.
(٦) الذيم: الأمور المذمومة.
(٧) مشاقصهم: الشِّقْص: القطعة من الأرض، والطائفة من الشيء، وهي هنا بمعنى رذائلهم.
(٨) لبسُوا: اتهموه.

عبرة للغابرين، والله تعالى مع الصابرين.

فصل: بلدة أهلها لئام

ما فيهم لأمر المروءة التئام، لا يتميزن جهلاً عن البقر، ولا يميزون بين الدّر والبعر[١]، لهم أكف جوامد، وقلوب كأنها جلامد[٢] جناب الأريب[٣] في جوارهم جديب، وتعهد الغريب عندهم غريب.

فصل: إذا كنت في قوم قريعهم رقيع

وزعيمهم زنيم،[٤] ومقدمهم متأخر، ومدبر أمرهم مدبر، ولم يكن وراءك عذره، ولا قدامك ذعر فزم للرحيل جمالك، وصن نفسك ومالك، قبل أن تنزل بهم بوائق[٥]، وتعوقك عن الفرار عوائق.

فصل: أدب التعامل مع الناس

خل الناس وتخلَّ، وانسل من بينهم وتسل[٦]؛ فالمباعدة مكتتمة في مداناتهم، والخيانة مكتمنة في أماناتهم، فإنْ لم تجد بدًّا من مخالطتهم، ولم تجد عن طريق مباسطتهم، فكن بين المنقبض والمنبسط، والمتطرف والمتوسط؛ فذلك أصون للحشمة وأصوب في الحكمة.

فصل: صن عرضك عن اللئام

فرّ من الناس، وصن عرضك باليأس، ولا تتق بأحداث هذا الوقت، فمقتهم مقترنة بالمقت بطير جرت إلى المراء، وجناحه مريش موقور، ويدورون حوله وجناحه

---

(١) البَعَر: جمع بعرة، وهي روثة الإبل.

(٢) الأريب: العاقل.

(٣) الجلمد: هو الصخر الصلب، قال امرؤ القيس:

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبر معًا كجلمود صخر حطه السيل من علَ

(٤) زنيم: ملتصق بهم، وليس أصيلاً فيهم، وهو لقيط ولد الزنا.

(٥) بوائق: نوازل السوء.

(٦) انسل: انسحب، تسل: انشغل.

مريع ممطور، فإذا عرته نبوة من الزمان، وعلته هبوة من الحرمان، حلّوا عقد مؤاخاته، وأخلّوا بشرط مواساته.[1]

فصل: حق الإخاء

لا تصرم[2] أخاك عند إضرامه، واجر على عادتك في إكرامه، وبادر إلى مواساته قاضيًا حق مؤاخاته، وأكبر قدره وإنْ كان عديمًا، احفظ قلبه كما حفظت قديمًا، فبهذا قضى الأبرار الصلحاء، وعليه مضى الأحرار الصرحاء.

فصل: أخف حاجتك

أخف حاجتك في خفاء التجمل، وتحمَّل أعباءها كنه التحمل، فذلك أحرى وأجمل، وفي باب الصيانة والمروءة أرجل، فإن ضقت صدرًا بإضافتك، ولم يتسع لاحتمالها نطاق طاقتك؛ فَزُر كريمًا زكي الأعراق، سخي النفس بنفائس الأعلاق، يصون عن السؤال وجه من يرجوه، ولا يعتد بمعروف يتبذل فيه الوجوه.

فصل: اكتف بالكفاف

يا بني اكتف بالكفاف، واكتس حلة العفاف، وكن مزجيًا للوقت مرجيًا ومخليًا للخلق متحليًا، ولا تُرق بالسؤال ماء محياك[3]، فلن تقدم ما يكفيك مُدّة محياك؛ فإن نفد[4] ما عندك من كفاف وصار عود عيشك ذا جفاف، وكبرت الشدة عن طوق طاقتك، ولم تر مزيدًا فوق فاقتك، فزر كريمًا بما يتصل صلاته، وينالُ المُنى عفوًا عفاته لتعود عنه وماء وجهك في قراراته غير ذائق لذلِّ السؤال ومرارته.

فصل: إذا منيت العيش المر

ورُميت بسهم الهم والضر؛ فلا تكن بسوء الحال متبرمًا، وصن وجهك عن

(١) مواساته: الوقوف بجانبه وقت الشدة.
(٢) تصرم: تقاطع.
(٣) محياك: وجهك.
(٤) نفد: انتهى.

السؤال متكرمًا، فإن استولى الهم على خَلدك[1] وهزم الضرُّ جند جَلَدك، فاقصد كريمًا خضيب الرَّحل في زمن المُحلِ يسبق السؤال بالنوال كرمًا، ويرى بذل المال مغنمًا لا مغرمًا؛ لينجلي به همك بعد إطباقٍ، وينصرف عنه، وماء وجهك باقٍ.

فصل: خفف ثقل المئونة بالخلوة

وضُمّ شمل المروءة بكسر الشهوة، وعليك بحسن الصبر والاقتناع، ولا تجعل خلتك مكشوفة القناع، فكم حُرٍّ أدام الخل إدامة، ولم ير أن يُرى الخَلّ إعدامه، فإن عجزت عن إقلال أعباء الأفِلال، واحتجت إلى السؤال لسوء الحال؛ فلا تسل إلا من تسيل فواضل يديه، ولا تجد إلا من تجد مطلوبك لديه.

فصل: اكتف بالعفة

وأخف حاجتك بالعفة فذلك أجدى في طريق الأجر، وأحرى بالحر الكريم البحر، فإن منيت لم يضر بغير الطاق، وصار وسعك عنه ضيق النّطاق، فأعرضها على سيد ندبٍ، خصيب الرحل في كلِّ جدب، يكتفي من سؤالك بالإيماء[2]، ويصرفك منحجًا مصون الماء.

فصل: اجعل الصبر جنتك

يا بني اجعل الصبر جنتك، والرضا باليسير دينك وسنتك، وصن ماء وجهك عن أن تريقه، والزم التجمل سالكًا طريقه، فذلك في الذكر أنبه، ولدى الحجا[3] أحجى وأشبه، فإنْ لم تصبر على العيش المر، وعدمت السكون لفرط الضر، فأنزل حاجتك بندٍّ عديم الند[4]، يركب في قضائها متن الجد، وأعرضها على جواد ميمون النقيبة، يُعيدك فارغ القلب، ممتلئ النقية.

(١) خلدك: نفسك.
(٢) الإيماء: الإشارة.
(٣) الحجا: العقول.
(٤) الند: النفور.

فصل: إذا غدوت حليف البؤس والإمحال

وشكوت فرط الضر وسوء الحال، فزر حرًّا صافي الورد على كدر الزمن، بادي البِشر في وقت الحزن، ينعم عند قلة المال، ويطعم ساعة قرب الأزمال، لينفي عنك البؤس بإنعامه، ويسقى أرضك بقيض غمامه، ويخرجك إلى السعة من الإضاقة مصونًا ماء وجهك عن الإراقة، ولا تدر حول وغد[١] عابس وقت الاستبشار، لابس ثوب العسُر في اليسار، لا يروي ناهلاً بنائل، ولا يسيل عرفًا على سائل، فتبقى بعيدًا عن المرام، مقبلاً على نفسك بالملام، جامعًا بين أخلاق الديباجة والإحقاق في الحاجة.

فصل: إيثار الانفراد

يا بني اقتف آثاري وآثر في الانفراد إيثاري[٢]، وانزل بساحة الصبر كما نزلتُ، واعتزل الناس مثل ما اعتزلت، فقد عزَّ في الإخوان الوفاء، وهان عندهم الصدق والصفاء، وصار أكثرهم غدرة خائنين، وبالعقوق وإضاعة الحقوق دائبين[٣] يمشون لمن يصافيهم الخمر، ويظهرون له ما يخالف المضمر إن نال ولاية والوه[٤]، وإن مُني بخلة خالوه، فإن لم تجد من الصحب بُدًّا فاصف أولاً عقيدةً وودًّا، ثم صاحب حرًّا صحيح الاعتقاد، كريمًا سليمًا على الانتقاد، يصون عهدك، وإن أذلت، ويوجب نصرك وإنْ خذلت، وقارب سريًا سوي المذهب، ونقيًا شبيه سبيكة الذهب، يتصل حبله المتين، حتى ينقطع منه الوتين.[٥]

فصل: عرفتُ ما شكوتَ

أيدك الله ورعاك، وكفاك ما مسَّك وعراك، من خون الإخوان وكونهم عليك مع الزمان، ولعمر الوفاء إن أكثرهم بالغدر دائنون، وللعهد خائنون، يدورون حول المرء

(١) الوغد: اللئيم الطبع، والجمع أوغاد.
(٢) إيثاري: تفضيلي.
(٣) دائبين: مستمرين.
(٤) والوه: التفوا حوله ونصروه.
(٥) الوتين: عرقان بجانب الرقبة.

ما استقام أحواله، ووصل إليهم صلته ونواله[١]، فإذا أحسوا بكسوف باله، وغروب شمس إقباله، تناءوا عن ذراه[٢]، وتناسوا ذكراه، لا أحوجنا الله إليهم، ولا مُعول عند المحبة عليهم.

فصل: لا تكن بالولاية مغرورًا

وبالوزارة مسرورًا، واجعل دأبك غرس المكرمات، وري[٣] الحرمات، ولا تباعد إخوانك الذين قاربتهم، وخلانك الذين آكلتهم وشاربتهم، ولا توحش الناس بخيلائك[٤]، واتخذهم عدة ليوم بلائك، فكلُّ والٍ معزول، وللآمر علو[٥] ونزول، والمكروه يأتي في قفاء المحبوب، والريح يسكن بعدَ شدة الهبوب.

فصل: ثبَّت الله قدم الأخيار الأحرار

ولا أنبت قادمة للأوغاد[٦] الأشرار، فإنَّ الحرَّ إذا فاز بجلالة القدر، وصار منشرح الصدر، بنيل الصدر أفضل على أهل الفضل وبنيه، وصرف همته إلى الحمد يعتليه، والمجد يبتنيه، وحفظ بالتلطف قلوب الكلِّ، وخفض الإخوان جناح الذل، وشكرًا لما ناله من العزِّ والاقتدار، وحمدًا على ما جاوزه من الإيراد والإصدار[٧]، وعلمًا بأن نعمة الدنيا تزول، وأن علو الأمر يتلوه النزول، والوغد إذا حظي[٨] عند الأمراء، وعُدَّ لا برحل الثراء من الأثراء، حال عن عهود الإخوان في الحال، وخال أنهم خولة من فرط الخال، واحتجب عن ذوي السِّتر بالسِّتر، ولقي من الجهد أهل العلم بالكبر، ولم يعلم أنه صُدِّرَ ليُصادر، وقدِّم ليؤخَّر إلى محل آخر، وأنه يحطّ عن ذروة العلاء،

(١) نواله: معروفه.
(٢) ذراه: ج ذروة، وهي الأماكن المرتفعة، والمعنى ابتعدوا عن مكانه.
(٣) ري: رعاية.
(٤) الخيلاء: التكبر.
(٥) علو: ارتفاع منزلة.
(٦) الوغد: اللئيم الحقير.
(٧) الإيراد والإصدار: الذهاب والعودة إلى الماء.
(٨) حظي: نال الاهتمام.

ويهوي به في هُوَّة السفال والبلاء.

فصل: اغتنم الشباب

دع وصل دعد ورباب[١]، واركب الاجتهاد في التعلم، ولا تركن إلى الخفض والتنعم؛ فراكب الاجتهاد فائز بالطيب والطرب، والراكن إلى الخفض صائر نصب النَّصب[٢]، وإذا رزقت حظًّا من الفضل والغناء؛ فاشتغل بما يفيدك، حُسن الذكر والثناء، واجتنب عمل السلطان سيرة ذوي العقل، فسكر الولاية لا يفي بخمار العزل.

فصل: اركب متن الاجتهاد

يا بني اركب متن الاجتهاد، وجاف جنبك عن لين المهاد[٣]، وشمِّر في طلب العلم ذيلك، واحي في الدرس والحفظ ليلك، واخلق في ذلك جدة الشباب، واسل بالكتب عن معاشرة الأحباب، ولا تسيك خولة مجالها وجمل برائع جمالها، فيفوتك ما هو الشرف على الأبد والنجم المضيء في الزمن الأربد.[٤]

فصل: طلب الآداب

يا بني اجعل طلب الآداب دأبك[٥]، وأدم بخذمة الأفاضل انتدابك، وحد[٦] عن طريق الكسل والتواني، ولا ترد وصل الخُرِّ الغواني[٧]، واحتمل فرط الكدّ والتعب، ولا تمل إلى جانب اللهو واللعب، واجعل ذلك أولى أشغالك بالتقديم ما دام عُوبك لدنًا قابلاً لتصير حاويًا[٨] للفخر المفخم، حاليًا بزينة المعرفة والفهم، مصدرًا[٩] في

(١) دَعْد ورباب: من معشوقات الشعراء في الجاهلية.
(٢) النصب: التعب.
(٣) المهاد: الفرس الممهد.
(٤) الأربد: المظلم.
(٥) دأبك: همك وغايتك.
(٦) حِد: ابتعد.
(٧) الغواني: جمع غانية، وهي من تكتفي بجمالها عن الزينة.
(٨) حاويًا: جامعًا.
(٩) مصدرًا: مقدمًا.

محافل الرؤساء، محببًا إلى قلوب الجلساء.

فصل: اغتنم أيام صباك

يا بني اغتنم أيام صباك، واشتغل فيها بما يسر أباك، واجتنب إتيان ما يوردك ندامةً وغمًّا، ويلحق بك خزايةً وذمًّا، وسر في طلب العلم سير السواني، ومد في دراسته عن طريق التواني.

وإذا طفرت من ذلك بالأمل فاقرن ما عملت بخالص العمل لتلبس بهما اليوم أزين الحلي، وتصل غدًا إلى الكرامة والدرجات العلا.

فصل: حب الاعتزال

يا بني اعتزل وتخل، وكل البقل آمنًا والخلَّ، واصبر على كل هذه المطاعم الحلوة، ولا تعرض للبلاء بطلب الحظوة، فالحرُّ بالصبر عن ذلك حري، وحسبك من غنى شبع وري، ولا تمن ولاية الوالي، وإن أتته النعم على التوالي، فإنه يصبح عن قريب معزولاً، ولا يصير عن أكل السمين مهزولاً.

فصل: أحكم الدين ولا تغتر بزخارف الملحدين

يا بني أحكم الدين[1]، ولا تغتر بزخارف الملحدين؛ فتضل عن الحجة البيضاء، وتظل ملحوظًا[2] بعين البغضاء، وتمسَّك بالكتاب والسُّنة حق التمسك، واستنر بأنوارهما في الطاعة والتنسك[3]؛ لتحصن منهما بالجنة[4] الوافية، وتصل بهما إلى الجنة الباقية، ولا تخط خط هذه الوصاة؛ فيرمي بك أهل الخصاة رمي الحصاة.

(١) أحكم الدين: احرص على سلامة عقيدتك.
(٢) ملحوظًا: يُنْظر إليك.
(٣) التنسك: الإخلاص في العبادة.
(٤) الجنة: الوقاية، ومنها قول رسول الله ﷺ: «الصوم جُنة».

فصل: عدم الرضا بالهوان

يا بني لا تقعد راضيًا بهوان[١]، وقم طالبًا للعز غير وان[٢]؛ فليس يمكن طلبه في كل أوان، واعلم أنك لا تنال العلاء والشرف حتى تودعَ التودع[٣] والترف، ولا يلهينك اللهو مع الحسان عن نيل ما فيه نباهة الإنسان؛ فكم أورث قُرب الحسناء بُعد المرء عن الفخر والسناء.[٤]

فصل: لا تقابل حسودك فعل الأكياس

فقديمًا كان الحسد في الناس، ولا تضجرن مما هو قائله، واصبر عليه فإن صبرك قاتله، ولا تنزعج إن اغتابك كاشح[٥]؛ فكلُّ إناء بالذي فيه راشح، ولا تكن لاغتيابه حزين القلب، فليس يضير القمر نباح الكلب.

فصل: تعظيم ورعاية ذمم الإخوان

إذا وجدت فتى راعيًا لذمم[٦] الإخوان، عاريًا من لباس الغدرة الخوّان؛ فأجله[٧] منك محل اليُمين، ولا تبع وده بالجوهر الثمين، فذلك اليوم نادر غريب، وقلما يوجد له ضريب.[٨]

فصل: عدم احتقار الناس

إذا رأيت رجلاً ضئيل الجسم، غير معروف النسب والاسم، فلاحظه بعين الكرامة والوقار، ولا تلقه قبل الاختبار بالاحتقار؛ فرُبَّ محتقرٍ لشخصه المتضائل، وهو جسيم الحظ من الفضائل.

(١) الهوان: الذل.
(٢) وان: ضعف.
(٣) التوّدع: الضعف والاستكانة.
(٤) السناء: الضوء، والشرف والرفعة.
(٥) كاشح: حاقد.
(٦) الذمم: العهود.
(٧) أجله: قربه.
(٨) ضريب: شبيه ومثيل.

obeikandl.com

فصل: إذا ملكت قيادة الارتياد

وحللت بمراد المراد، وأنست بجري أمورك على إذلالها، ولبست حُلل العز داولاً إلى أذيالها؛ فاشتر حسن الثناء بالثراء[١]، واقتف[٢] آثار الأكارم الأثراء[٣] قبل رجوع الليالي في موهوبها، وسكون ريح الدولة بعد هبوبها، فللدهر صفو وكدر، وللأمر صعود ومنحدر، وللمال درة وغرار[٤]، وللعيش حلاوة وإمرار.

فصل: حسن استقبال الزائرين

إذا قصدك حُرٌّ من الأحرار، مجتنب بجنبات الأشرار، قد حظي من الفضائل بالحظوظ الوافية، وزهد في عمل السلطان رعية[٥] في العافية، فالقه بالبشر والإكرام عادة السادة الكرام، ولا تنظر إليه بعين الاحتقار لما ترى عليه من أثر الافتقار؛ فهو لابس حُلّة العزّ، تحت سمل[٦] وملابس في العطلة أشرف عمل، وهو ينقص فريد الأصليت إخلاق[٧] القراب، وقيمة الإبريز كونه في التراب، أو يضر بالقمر المنير سيره تحت السُّدَف[٨]، والجوهر الثمين قراره في الصدف.

فصل: إذا أردت أن تسود

وترغم العدو والحسود، فينبغي لك أن تَهَب الجمَّ[٩]، وتهاب الذَّم، وتغفو عن الجارم، وتعفو عن المحارم، وتطيع كرمك في صلة من صرمك[١٠]، وتحلم عن السفيه،

(١) الثراء: المال والغنى.
(٢) اقتف: سر على أثر سيرهم.
(٣) الأثراء: المفضلون.
(٤) الدرة: الجوهرة الثمينة، والغرار: البعرة والروث.
(٥) رعية: طلبًا أو رغبة.
(٦) سمل: ملابس قديمة، والجمع أسمال.
(٧) إخلاق: الثوب الخلق: القديم البالي، ومعنى العبارة: لا ينقص من قيمة السيف الصارم غمده البالي.
(٨) السدف: الغمام.
(٩) الجم: الكثير.
(١٠) صرمك: قاطعك وهجرك، وعليه قول الشاعر:

أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي

ما لم تكن مذلة فيه، وتنجز وعدك بالإنجاز، وضمانك بالحقيقة لا المجاز، وتحل ضيفك محل الكرامة، وترى مؤنته من الغنامة لا الغرامة.

وتجعل التواضع ديدنك[١]، وتلزمه لزوم الشعار بدنك، وتحفظ عهد الصديق وغيبه، وتنسى زلته[٢] وعيبه، وتضرب عن غيبة ذوي الريبة حربًا على كرم الخلق، وتبعد من يشي[٣] ويمشي بنميم، وتقرب من يحسن محضره تقريب حميم، فإذا تحليت بهذه الحلى والأوصاف لم ينكر سيادتك ذو المعرفة والإنصاف.

فصل: صن نفسك عن امتهان الدَّين

صن نفسك عن ابتذالها بالدَّين فهمه في القلب كالقذى[٤] في العين، فإن قادك إليه فرط الإنفاق، فاستدن حرًّا واسع الأخلاق، فاشيًا[٥] في ظلال العز والنعماء، وارثًا للكرم عن آبائه الكرماء يحفظ قلوب الإخوان حفظ الدين، ويرى غيبته إدانة المستدين، لتنقلب عنه مطلب[٦] المطلب مسرور القلب بحسن المنقلب، وتخط كل دخيل في العلاء، غريب وبخيل، فاز بالغنى منذ قريب[٧]، يخاف أن يعود عديمًا، ويذكر ما قاساه من الفقر قديمًا، فتحصل على المذلة والندم، وتجد الحاجة إليه أمرًا من العدم.

فصل: لا تشتغل بحديث الحوادث وشكايتها

ولا تكترث بالخطوب بالكوارث ونكايتها[٨]، وكادح[٩] جموعها صابرًا تتفرق، وكافح صفوفها صائلاً متخرق، ولا تنكر نزولها بالأجواد؛ فقديمًا عرفت عثرة الجواد،

(١) ديدنك: طبعك.
(٢) زلته: خطؤه.
(٣) يشي: يسعى بين الناس بالوشاية والنميمة.
(٤) القذى: الألم بالعين.
(٥) فاشيًا: منتشرًا.
(٦) مُطْلَب: مجاب.
(٧) أي حديث عهد بالغنى.
(٨) نكايتها: أضرارها.
(٩) كادح: قادم.

ولا تخطيها إلى السادة الطهر، فالكسوف للنيرين[١]، دون الزهر، ولا تحاملها على كل أغرٍّ نجيب، فوقوع القذى في العين غير عجيب.

فصل: الصبر عند الشدائد

إذا سعيت لأمر وتعبت وخلت أن تظفر به فخبت؛ فلا تبيت حرج الصدر، وصر إلى جانب الصبر، وكن لذلك محتملاً بثوب السلامة، مشتملاً،[٢] فللسعي وري وصلود، وللنجح وصل وصدود[٣]، وارج أن يساعدك السعد، وتحصل غرضك فيما بعد؛ فللحاجات أوقات ومواعيد وأسباب بها يقرب البعيد، وكم واصل سُرى بسير لم يحظ بسرور وخير، ومقيم أبدًا في مثواه فاز بكل ما يريده ويهواه.

فصل: الصبر على المرض

إذا رأيت جناب عيشك ماحلاً، وجسم حالك سقيمًا قاحلاً[٤]؛ فاعتف جوادًا يفضي بك إلى الخصب بعد إمحالك، ويشفي بالعوائد سقم حالك.

وإذا خشيت الضيم[٥] من جانب الإخوان، وشئت الارتحال عن دار الهوان، فاعتل جوادًا يغنيك بعنانه عن السوط، ويقرب عليك المسافة، ببعد الشوط.

فصل: الصبر عند قصور اليد

كم حر يعشق السماح، ويحبُّ أن يقصد[٦] ويستماح، قد قعد به قصور اليد عن القيام بشرائط السؤدد[٧]، ووقفه عدم الدرهم، دون الجري إلى غاية الكرم.

ولو ساعده السعد والزمان، وانحرف عنه الحُرف والحرمان؛ لناب عن النيل نيله،

(١) النيرين: الشمس والقمر.
(٢) مشتملاً: مغمورًا.
(٣) وصل وصدود: إقبال وإدبار.
(٤) قاحلاً: سقيمًا مريضًا.
(٥) الضيم: اللوم.
(٦) يقصد: يأتي إليه ذوي الحاجات.
(٧) السؤدد: الشرف والجاه.

وانجر على المجرة ذيله.

كم حر عيوفٍ للمحارم، عروف[١] باجتناء المكارم، قد خفي في ثوب العدم، وعجز عن إبداء الكرم، ولو سقط بأرضه سماء الغنى، وأصاب سهمه مرمى المرام والمنى؛ لفاح في الجهات عطر فعاله، وفاض على العفاة قطر نواله.

كم هائم بالمجد والسناء، حائم حول الجود والسخاء، قد خلاه[٢] العدم عن مورد مرارة، وحال العُسر بينه وبين مرتاده[٣]، ولو كان له حظ من المقدرة، وجناح من الريش والميسرة؛ لطار إلى العلياء، مطارًا سريعًا، وصيّر حُباب العفاة بالجود مريعًا.

فصل: الصبر على سوء الحال

رُبَّ فتى فات الأقران[٤] دراية، وسامى السماء فضلاً وكفايةً قد أسكته سوء الحال من غير عي[٥]، ودعاه إلى الاحتمال عن كلِّ عِي، ولو هبَّ بأرضه قبول الإقبال، وطار به جناح المال إلى الآمال؛ لوضع شرف المشرفي[٦] بفصاحة لسانه، وأرجل في ميدان الفضل جميع فرسانه.

قد صار أمراء النظم من خدمه، وسار فرسان النثر تحت علمه، فلو عاش أبو تمام لعشا[٧] إلى ضوء ناره، ومشى في طريق المهتدين بمناره، أو عبد الحميد[٨] لافتقر إلى ألفاظه ومعانيه، وافتخر بنشر محاسنه ومعاليه، فلله دره من شاعر يغني بلسانه عن السيف المأثور، ويزري بمنظومه على الورد والمنثور، وكاتب ينوب بقلمه عن رماح

(١) عروف: معروف، اجتناء: جمع وحصاد.
(٢) خلاه: أبعده.
(٣) مرتاده: ما يريده.
(٤) الأقران: جمع قرين، وهو الصديق.
(٥) عي: تعب وإعياء.
(٦) المشرفي: السيف، وعليه قول الشاعر:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

(٧) عشا: سار بالعشي.
(٨) عبد الحميد هو ابن يحيى الكاتب من أشهر الكتاب في العصر العباسي حتى قيل: بدأت الكتابة بعبد الحميد، وختمت بابن الحميد.

الخط، ويُرى المعجز بحسن الخط واللفظ.

فصل: الحرص على طلب العلم والأدب

قد عشق العلم وليدًا، واتخذ الفضل وديدًا[١]، وجدّر عن اللعب في الطلب، وطاب نفسًا عن الطيب والطرب، حتى حوى أدب الشيوخ، وهو يافع، وجنى ثمر العلوم، وغصن يانع، وأقر[٢] أقرانه بقصورهم عن غايته، وشهد أعداؤه بفضله وكفايته؛ فلله دره من ناشئ صار في البلاغة متكهلاً، وجذع فات القرح متمهلاً.

قد أقبل في اقتبال عمره على الأدب، وأخذ في الجد تاركًا لذاته في اللعب، واكتسى سمت[٣] ذوي الأحلام[٤]، ولم يبلغ زمن الاحتلام، وسما إلى نجد[٥] المجد وهو قريب العهد بالمهد.

فلله درّه من جذع قرح فضله، وحدث اكتهل عقله، زاده الله توفيقًا وتسديدًا، ورزقه كل يوم فضلاً جديدًا.

فصل: حسن استقبال الأمير للضيف

سمعت بفضله الفائح الفائض، وأفضاله التي يراها من الفرائض، فتركت له الوطن والأهل، وسلكت إليه الحزن والسهل، فلما حضرت حضرته العلية، وطالعت طلعته الجلية؛ لقيني بالبشر فعل السادة، وألقى ماله قبل الوسادة، ولم يزل يخصني بمزيد القربة، ويكف عني بلطفه غرب الغربة، حتى أهديت رقي إليه، وجعلت ثنائي[٦] وقفًا عليه، وانصرفت عنه راضيًا من زماني ظافرًا لجميع المطالب والأماني، فأبقاه الله مستعبدًا للأحرار بالنوال[٧]، وأدام النعمة عنده مصونة من الزوال.

(١) وديدًا: صديقًا ودودًا.
(٢) أقر: اعترف.
(٣) سمت: صفات.
(٤) الأحلام: العقول.
(٥) نجد المجد: قمة المجد.
(٦) ثنائي: مدحي.
(٧) يقول الشاعر في هذا المعنى:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

فصل: تحمل الأسفار للوصول إلى الأمير

لما طال مقامي ببلدي، وقصر عن تناول المرام يدى؛ لبست ثوب الجلد، وسلوت عن الأهل والولد، ووطنت نفسي على تعب الأسفار وجوب[١] المهامه والقفار، طالب الحُرّ يوجب بكرمه إكرامي، وينيلني منيله مرامي حتى ظفرت بتاج الرؤساء سليل المجد، واقف ماله في سبيل الحمد، متق للذم بالعطاء الجم[٢]، محترس من العيب بإفاضة الشيب فأنخت بساحته مطية مطلبي، واسترحت إلى ظله الظليل من لقيه، فلقيني بأبلغ ترحيب، وأنزلني بمكان رحيب[٣]، وروَّى بجوده جوادي، وقوَّى بفؤاده فؤادي، وطيَّب عيشي بلطفه المعسول، وأنالني بعرفه نهاية السؤل.

فأنا اليوم شاكره في النوادي شكر الرياض لصوب الغودي، فأبقاه الله مصونًا معانًا، وجعل جنابه لكلِّ خير مُعا.

فصل: وصف الأمير وبيان فضله

مولاي حرس الله مدته بسيط اليد بوافر الجود، معدوم المثل في بذل الموجود، سائل السيب[٤] على السائل والزائر، سائر النيل إلى المنجد والغابر، لا جرم أن له في كل قطر ألف شاكر، ومُطرٍ[٥]، ومن كل فاضل حُرٍّ ثناء لعقد دُره وفلان من أوصلته صلاته إلى ساحة المنى، وأهبت هباته بجنابه نسيم الغنى، فجعل شكره قرضًا، لا يعدل عن سواه، ومهتمًا لا شغل سواه، وصار بنشر فضله في الأندية، وينوب بمدحه عن الرياض الندية، وقد ألقيت إلى سمعه لا خلا من سماع ما يسر ما قضى به حق نعمته

(١) جوب المهامه: قطع الفلوات، وهي الصحراوات.
(٢) الجم: الكثير.
(٣) رحيب: متسع.
(٤) السيب: المعروفة.
(٥) مطر: مادح.

لهذا الحر ليعلم أن صنيعه لديه زكا ورَاعَ، وأثمر شكرًا زكا[١] وراع، والله تعالى يبقيه حمي لهذه الديار، ويديم توفيقه لإسداء العرف إلى الخيار ما غنى القمري على الغصن النائح، وجلا الوسمي[٢] عرائس الروض الفائح بمنه.

فصل: وصف الأمير

مولاي نجم الزمان الذي به يهتدى، وبدر الكرام الذي بالفخر ارتدى كرمًا سار يذكره الرفاق، وفضلاً تعطر بنشره الآفاق، وكلُّ أفعاله للشكر كاسبة[٣]، وفي الحُسْن متناسبة، إلا أن ما آتاه في باب فلان صار طرازًا على خلة محامده المتوالية، وعقدًا في نحر محاسنه المتلألئة.

لا جرم أنه قام بشكره في المحافل خطيبًا، وأثنى عليه ثناء يعابق المسك طيبًا، والله تعالى يبقيه مأهول[٤] الربع بالعفاة، ويقيه جميع المكاره والآفات، ما نصب النّدى مطارد الشقائق[٥]، ونشر الحيا[٦] مطارف الحدائق.

قد عاد فلان شاكرًا له بألف لسان، ناشرًا في المحافل ما أولاه من إحسان، شاهدًا بأنه أبو الكرم، ومنشئ عنانه وأخو الأدب، ومالك عنانه، وأمير الفضل، وفارس ميدانه، وأليف الظرف، ومعطر أردانه، ولا غرو أن يكون كذلك وهو الشريف، ونجل الكرام الغطاريف[٧]، والله تعالى لا يخليه من النعم الكرائم، ما غدا الرياض متفتقة الكمائم، ويبقيه شافيًا للآمال الحوائم، ما غنى في الوّرق وُرِق الحمائم.

مولاي قد أنقذني بيد أياديه عن مخلب الزمان وعواديه، من غير سوء مني إياه أو

(١) زكا: نما وانتشر.
(٢) الوسمي: أول المطر.
(٣) كاسبة: مكسبة له.
(٤) مأهولة: مملوءً بالأهل.
(٥) الشقائق: الزهور.
(٦) الحيا: المطر.
(٧) الغطاريف: السادة الشرفاء.

شيم لبارقة عزير سقيًا جاريًا في ذلك على فضله الوافر، وكرمه المقيم المسافر، ومطيعًا لهمته العالية الدرج، وسجيته الزاكية الأرج[١]، لا جرم أني ثانٍ إليه عنان ثنائي، ودان منه فكرًا وذكرًا على التنائي.[٢]

وليس بديعًا نيلي عطاياه قبل نظري إلى كريم محياه،[٣] فالمسك يُنشق قبله ريّاه، والله تعالى يبقيه في العيش المستطاب ما عبث نسيم الصبا[٤] لغصون الرطاب، ولا يخليه من وصل العز أمنًا للفراق ما غنى قيان الطير في سائر الأوراق.

فصل: في وصف كرم الأمير

قد كنت أعلم أنه مولاي فائض النوال، صائن العرض ببذل الأموال، وأن جنابه المهاب منيع، وللعفاة مضيف ومريع، ولم أعلم أنه يسافر مقيمًا بمواهبه إلى الأطرار، ويقرب مع بعده المطالب على الأحرار، حتى سقى أرضي مطره، ولم أشم له بارقًا.

وسرى إليَّ برُّه سُرى الخيال طارقًا، وأنا كاسف البال[٥] رابح الحال، بعيد عن جنابه الذي هو محط الرحال، فأراح إليَّ ما عرب من راحتي، وأزال عبرة الغربة عن ساحتي، وجعلني شاكرًا فعله في المحافل، راعيًا له تلو الفرائض والنوافل، راغبًا إلى الله تعالى في أن يمتعني بطول بقائه، ويسعدني عن قريب بميمون لقائه؛ فأشاهد منه واحد زمانه، كرمًا برمكيًّا[٦]، ويشاهد مني أوحد أقرانه شكرًا زكيًا، ويبقيه غُرّة للسادة وذوي الأخطار، ما شكر لسان النسيم يد القطار، ولا تخليه من النعم الصافية الغزار، وما زاد شجو المتيم شدو الهزار.

---

(١) الأرج: الأريج والعطر.

(٢) التنائي: البعد، يقول ابن زيدون:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا ... ونأب عن طيب لقيانا تجافينا

(٣) محياه: وجهه.

(٤) الصبا: نسيم رقيق.

(٥) كاسف البال: حزين.

(٦) الكرم البرمكي: منسوب إلى البرامكة.

فصل: شكر الأمير على عطاياه

كيف أشكر مولاي، وقد ترك شكري ضعيف المتن ببيض الأيادي وغُر المنن، ولم يقتنع بتوالد العوارف؛ حتى قرنها بأخواتها الطوارف، ولو جزر مدة مدها، وتبيَّن لي قدرها وحدّها؛ لسرت في طريق الشكر أدنى مسير، وبلغت معشاره، وإن كان غير يسير، لكنها كل يوم على ازدياد، ولساني عن شكرها رهن أقياد، فادعائي القيام بذلك جد نُكر، وإقراري بالعجز عنه أبلغ شكر، والله تعالى يتولى جزاه عني، ويكفيني ما لا أناله بعد التعني، ويديم توفيقه لادخار الحمد واقتنائه، ويبقيه حلية للدهر وأبنائه، ولا يخلي جنانه من الزُّوار ما نظم الحيا عقود النوار.

فصل: المال والجاه وأثرهما في النفوس

كم أخٍ رهين الذل والانكسار، مهين النفس في أسر الإعسار كنت أدعو له بمساعدة الزمان، ونيل الأماني في ظلِّ الأمان، فلما ملك قياد الآمال، مال عني من سكر المال، وتوارى في حجاب الإعجاب والطغيان، وأدرج ذكري في حجاب الإعجاب والطغيان، وأدرج ذكري في أثناء النسيان كأن لم يكن بيننا في المودة أصل، ولم يسقنا كأس المسرة وصل[1]، فأبعد الله كل وغد[2] قصير اليد عن الباع كابي الزند، حافي الطباع، يلهيه اللهو عن شكر النعماء، وينسيه الزهو[3] ذكر إخوانه القدماء، وأسعد كل جوٍّ لا يحمله على النظر والمحال، حلا له الخطر واتساع الحال، ويزيده زيادة السَّنا رعيةً في الحمد والثناء.

فصل: أثر المال في إفساد النفوس

كم أخٍ قد آسيته[4] بمالي وعددته معد يميني لا شمالي، ونعشته بيد الفتوة من غباره، ووقفت في كلِّ أمر عند إيثاره، راجيًا أنه لا يجيز هجري، ويجري على سنن

(١) وصل: الوصال والتقارب.
(٢) وغد: لئيم حقير.
(٣) الزهو: الإعجاب والاختيال.
(٤) آسيته: ساعدته.

الوصل كما أجري، ويصافحني للودِّ عقدًا ولسانًا، ويجازيني يومًا بالإحسان إحسانًا، فلما فاز بالثراء بعد العدم، وصار في العزِّ ثابت القدم؛ طوى بساط وفاقي طيًا، وضوى إلى جانب خلافي غيًا، فأدناه الله من لئيم نابذ[1] للحقوق، ناقدٍ في طريق العقوق، وجعله فداء كل كريم متجافٍ، عن الجفاء لابس للصديق ثوب الوفاء، لا يغيِّره نيلُ السعادة، ولا يغيِّره الولاية عن العادة.

فصل: جزاء خائن المودة

رُبَّ أخٍ بررته مع جفائه، وشربت كدره طمعًا في صفائه، وصبرت على تماديه في ثلبي، ورميه بالكلمات الكاملة قلبي حتى لم يبق في قوس الإساءة مترعًا[2]، ولا في كناية النكاية منزعًا مقدرًا أن ينتبه من غفلاته، ويعتذر من سوء قلاته، فما جنح للتوبة والاعتذار، وجمع في الشر خليع العذار، فلما يئست من تجافيه عن الجفاء، وفيئه إلى الرعاية والوفاء خلعت لباس صحبته، وقلعت غراس محبته ووكلته[3] إلى ما آثره من النكاية، ولم أبد لأحد سوء فعله بالشكاية، فلم تمض على ذلك إلا أيام قلائل، حتى نجمت عليه خطوب صوائل فعفرته تعفيرًا، وواسعته عضًّا وتظفيرًا، وكفتني مكافأته على جريرته، وذميم فعله وسريرته، والله تعالى أقدر القادرين على الانتقام للوافين من الغادرين.

فصل: أسس اختيار الصديق

لا تصحب أحدًا قبل الاختبار آخذًا بسنة العقلاء الكبار، ولا تغتر بقول كلِّ منافق عليم اللسان، عديم الإحسان، يسرُّ منظرًا أو خبرًا، ويسوء محضرًا ومختبرًا؛ فتذم مغبة محبته، وتندم كثيرًا على صحبته، كاغتراري بقول فلان، فعل الأغرار تقديرًا مني أنه حُرٌّ من الأحرار.

وصحبتي إياه قبل الخبرة والتجريب، وميلي إليه ميل المرء إلى الحميم[4] والقريب،

(١) نابذ: منكر.
(٢) مترعًا: مكانًا.
(٣) وكلته: تركته.
(٤) الحميم: الصديق الوفي.

فلما بُرتُ سيرته وطريقته، ورزتُ شيمته وخليقته وجدته نيربًا يُوقِعُ العداوة بين الأصدقاء، وعقربًا يلسعُ قلوب الإخوان عند اللقاء، وغدَّارًا لا يرعى الخلّ إلا[1]، ويرى حلَّ عقد العهد حِلاً.

لا جرم أني نادم على ما أتيته في بابه، هادم لما بنيته من حبابه، فأبعده الله من خلفٍ دائن بالخلاف، دائب[2] في إتلاف نفس الائتلاف، وجعله قد أكل كريم دائم على الوفاق غيري أبر بناحية النفاق.

فصل: الوقوف بجانب الصديق في الشدة

ولما رماني زماني، وأبى عليَّ الأماني، أسا[3] فلان بلطفه جراحي، وراش[4] بعرفه جناحي، وأفادني من يمن صحابته ما أصحب معه أَبِيٍّ مرادي، وقد أفاض عليَّ من صوب سحابته ما أخصب به ما حل مرادي؛ فأنا اليوم حامدُ عرفه في كلِّ نادٍ ندوت، وحامل شكره نأيت أو دنوت.

فصل: الرحلة إلى المحبوب

قطع بادية الفِراق على راجلة الاشتياق، وأحرم من ميقات الولاء متجردًا عن ثوب الرياء حتى وصل إلى منيع حرمه، وورد زمزم كرمه، وقد استلم أركان حضرته، وتعلق بأستار خِدمته، وحجَّ كعبة محاسنه، وصلى إلى قبلة ميامنه، ثم رجع مشكور العمل بالغًا غاية الأمل.

فصل: فضل خدمة العلماء

يا بني اغتنم خدمة العلماء لتخدم في محافل العظماء، وجد في الطلب سرب الأوقات، وخذ العلم عن النصحاء الثقات عالمًا أنه ذخر يبقى على مرِّ الأحقاب[5]،

(١) إلا: عهدًا ومودة.
(٢) دائب: مستمر.
(٣) أسا: داوى.
(٤) راش: كسا، ومنه قوله تعالى: **+لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا"** [الأعراف: ٢٦].
(٥) الأحقاب: جمع حقبة، وهي فترة زمنية.

وفخر يتوارثه الأعقاب بعد الأعقاب.

وإذا رزقت منه نصيبًا، وصرت فيه متقيًا مصيبًا، فاجهد أن تكون به عاملاً؛ لتنال بهما الشرف كاملاً، وذلك بتوفيق الله وعونه، وحسن عِصمته[1] إياك وصونه.

فصل: الاجتهاد في طلب العلم والأدب

يا بني اركب متن الدواب في طلب العلم والأدب، وقدِّم ذلك على جميع أشغالك ليلاً، تؤجر في الرتبة عن إشكالك، ولا تقف دون غايتهما القُصيا، وإن لم تنل بهما حظًّا من الدنيا؛ فالمال يغدو إلى المرء ويروح، والعلم يبقى وإنْ ذهبت الروح.

فصل: فضل مكارم الأخلاق

لا غرو أن يصير هائمًا في واديك، حائمًا حول ناديك، مَنْ فتنته بلطفك السِّحري، وخُلُقك المُزري بالنسيم السحري وحيّرته بجوارك الذي يسلب القلوب، ويسبيها[2]، ويخلب النفوس ويصبيها[3]، ومن الذي يطلب بك بدلاً، ويروم عنك منعدلاً، وقد ملكت رقاب الفضائل لك ملك، وحويت المحاسن مجموعة لك في سلكٍ، زادك الله مما أولاك، وحفظ نظام عِزك وعُلاك، فإن الأوقات بل غُرٌّ وسام حتى كأنك في فم الزمن ابتسام.

فصل: أثر زيارة الأمير

بلغني أن مولاي برز أمس إلى الصحراء وهي مختالة، في الحلة الخضراء فرتع في مراتع المراح وورد مشارع الأفراح مع فتيان كأقران الثريا في جنة كالجنة في الحسن والريا[4]، ضاحكة الورد إلى البهار محفوفة الأنهار بالأزهار، قد فتقت فيها الصبا نوافح المسك، فرغبت في التفرج دوي الزهد والتنسك، وغنت الطير ألذ غناء، فأغنت

(١) عصمته: حفظه لك.
(٢) يسبيها: يأسرها.
(٣) يصبيها: يجعلها تميل.
(٤) الرّيا: الارتواء والجمال.

عن القيان أتم إغناء على غصونٍ كقدود الأحباب، قد شابت رؤوسها في حال الشباب فأنست بطيب وقته أنسًا وافيًا، ونلت بصفاء عيشه عيشًا صافيًا، وسألت الله تعالى أن يبقيه فائزًا بالرّاحات ظافرًا بجميع الاقتراحات، ولا يخليه من الأنس الغزير ما زرَّد النسيم متن الغدير، وورَّد النعيم خدَّ الرمتاء الغرير.

فصل: جناية بعض الآباء على بناتهن

أبو البنت المعروفة بالحصن، الموصوفة بالجمال والحسن يطيل عضلها[1] عن الترويج، ولا يصل أمر نكاحها بالتزويج، ويُعنسها في خدر الجفاء[2] طالبًا لها كُفئًا من الأكفاء.

فإذا وجد كُفئًا من ذوي الكرم والفضل لم يزوجها للتعنيس والعَضل، وشفع[3] خطيئته بالإجابة والإيجاب، وزفها إلى حجاله بعد طول الحجاب، كذلك من أنشأ قصيدة بكرًا، وتقسَّم في تقسيمها وتحبيرها فكرًا يطلب لها حُرًّا يليق به المديح، وكريمًا قدحه من الكرم لا المنيح، فإذا اهتم بإبرازها وإبدائها واهتز لإهدائها إليه، وإهدائها عالمًا أنه يعطيه مهرها بالكمال، ويرضيه صائنًا وجهه ببذل المال.

فصل: فضل الأمير

طلع الأمير على هذه البلد، وهي تشكو اختلال حالاتها، وسوء سير عمالها وولاتها، فلبست بطلوعه ثوب الفخر، وأنست بقدومه أنس القفر بالقطر[4] ظمأ إلى إحسانه الذي يصوب صوب الغيث، وعدله الذي يصور إلى جانب الصلاح، أهل الغيث، فضمَّ برأيه الصائب كل نشر، وكسر جناح كل ذي عتق وأسر، واخضر سكانها سكونهم الغائب، واطلع عليهم سرورهم العازب، وشد بسداده خلل أحوالهم، وآمنهم على أنفسهم وأموالهم، واكتفى منهم برسوم تنهض بها منهم،

(١) عضلها: إكراهها، ومنه قوله تعالى: **+وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ"** [النساء: ١٩].
(٢) الجفاء: القطيعة.
(٣) شفع: أتبع.
(٤) القفر: الصحراء، والقطر: المطر.

وتخفُّ معها مؤنهم[1]، لا سُخط ولا تهديد ولا ظلم، ولا تشديد؛ فأبقاه الله عالي الجد، مضيء الرأي، ماضي الحد، ولا أخلاه من العز والجلالة حتى يحوج القمر من الهالة.

فصل: أثر الأمير على المدينة

قدم الأمير هذه المدينة، وقد أظلم آفاقها ظلمًا، وتغشى المناجسُ أكنافها غشيًا، وهمَّ أهلها بالجلاء من فرط العلاء وشدة البلاء؛ فأضاءها بأنوار عزته وإقباله، وإفاض عليهم سِجَال جوده وأفضاله، وداوى قلوبهم من تلك الجراحات، وأراح لهم عوارب الراحات، وخلص أموالهم من مخالب التلف، وصانها من نواهظ العوارض والكلف، وسار فيهم بسيرة عمر، وأقام حدود الله تعالى كما أمر، حتى نعموا عيشًا، وأمنوا سربًا[2]، واستبدلوا بالغلاء رُخصًا وخصبًا.

وصار الفقراء أغنياء بحسن ملكته، والمزابل منازل يمنه وبركته؛ فأبقاه الله سدًّا وسندًا، وجعل ما أولاه دائمًا سرمدًا[3] بمنه.

فصل: أهمية العدل

أما الأمير فلان فهو حليف العدل والإحسان، حميد آثار اليد واللسان، مشوق الرأي والرؤية، مشفق على الجند والرعية، قد أمن سهم كل حيفة[4]، واقتصر منهم على رسوم خفيفة؛ فهم راتعون في رياض الطرب، واردون لموارد الأرب، راغبون إلى الله تعالى في أن يحرس حَوياه وحِواه، وينصر أبدًا أولياءه ولواه؛ ليعيشوا آمنين في ظله المحمي، شاكرين لفضله شكر الرياض للوسمي.[5]

قدم الأمير هذه البلدة، والأمر عنها غائب، والخوف فيها غالب، وفم الفتنة فاغر، ومرجل الشر فائر، وحوائب العدل مثلمة، وجوانح ذوي العقل من الظلم آلمة، وفرق

(١) مؤنهم: العتاد.
(٢) سربًا: في بيته.
(٣) سرمدًا: باقيًا.
(٤) الحيف: الجور.
(٥) الوسمي: أول المطر.

الخلاف متوافقة، وسوق أهل النفاق نافقة[١]؛ فنصر كل مظلوم، وأسا كل قلب مكلوم[٢]، وفتح أبواب الإنصاف وكانت مغلقة، وسكن قلوب الضعاف وكانت قلقة، وكسر من نصب راية الشر والبلاء، وحسم داء ذوي الغي بالكي بعد الطلاء،[٣] ورمى بسهم الصلاح والسداد سوق أبناء الفساد بالكساء، وأمن نفوس الرعية عقب الفرق، وأنامهم في ظل الهدوء بعد طول الأرق، وردَّ عنهم كل شرٍّ، وقلَّ عنهم غرب من عتا ومَرد[٤]؛ فأبقاه الله في الدولة والنعماء، ولا أخلاه من السمو ما لاح نجم في السماء.

فصل: فضل الأمير

لحق الأمير وقد اتسع خرق الملك على الراقع، وضاقت الرعية ذرعًا بالبلاء الواقع، وهم كل منهم بالفرار، ولما تطاير إليه من شرار الشرار، فلاقي كل معضلة نادٍ، وخَطْبٍ أو قبله كل ذي آدٍ، ترى يضيء ضياء الفجر، وبأس يغني غناء المجر، ووجه طلق لا يُغيّره القُطوب[٥]، وقلب ثبتٍ لا تطيره الخطوب[٦]، حتى كفى عادية الأعداء، وكفَّ غرب ذوي الشر والاعتداء، وأقرَّ أمر الإمارة في نصابه، وشفى جسم الولاية من أوصابه[٧]، فلله درّه من أمير، زاد[٨] في الرأي على زنادٍ ودَمير، زاد عن حريم الملك أتم زياد، لا زال يقصر باع كل باغٍ بصولته، ويمدُّ ظله على كلِّ مريد لدولته.

فصل: فضل الأمير على الناس

انقطع فلان إلى هذه الجنبة النضرة، واتصل بخدمة هذه الحضرة، وهو طليج

(١) نافقة: خاوية على عروشها.
(٢) مكلوم: مجروح.
(٣) الكي والطلاء: من طرق علاج جرب الإبل، وهنا يشير إلى أن الأمير عالج الأمور بالطرق المناسبة.
(٤) عتا ومرد: العتو: الظلم، والمرد: التمرد.
(٥) القطوب: العبوس.
(٦) الخطوب: جمع خطب، وهي المصائب.
(٧) الأوصاب: الأوجاع.
(٨) زاد: دافع.

البؤس والخلة، وطريح الهوان والمذلة، ففكه الأمير من أسار الإعسار، ومسح عن وجهه قتر الاقتار،[١] وسما[٢] به من حضيض المتربة[٣] إلى سماك الغنى والمرتبة مقدّرًا أنه يعتصم بحبل الطاعة، ويبذل في الخدمة كُنه الاستطاعة، فألهاه بشكر النُّغمة عن شكر النِّعمة، وجنح[٤] إلى شقٍّ من عصى، وسيّر له سوء فعله نديم[٥] الندم، ويورثه كسب يده عن قريب زلة القدم.

أما فلان فلم يزل متمردًا عاتبًا[٦]، ولما يأتيه ذوو الشقاق والشقوة أتيا لا يزيده النصح إلا بلوغًا لثوب الإدبار، وتسرعًا نحو الهلك والدّبار، وقد أحسن الأمير إليه مرارًا، وأرسل عليه سما جوده مدرارًا.

فلم تنبت أرضه إلا قتار[٧] الفساد والمروق[٨]، وشوك العناد الجاري منه مجرى الدم في العروق، وستراه عن قريب بشَرك[٩] الحَيْن[١٠] مصيدًا، وبسيف الحق حصيدًا.

فصل: آثار رفض النصيحة

أما بنو فلان؛ فإنهم لا يزالون مخطئين خاطئين، ولفرقة الفرقة مواطئين،[١١] وفي الغي والضلالة سادرين، وإلى فئة الفتنة مبادرين.

ولقد دعوتهم إلى الطاعة مرارًا، ﴿**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا**﴾ [نوح:٦][١٢]،

---

(١) قتر الإقتار: غبار الفقر، ومنه قوله تعالى: +**تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ**" [عبس: ٤١].
(٢) سما: ارتفع.
(٣) المتربة: الفقر.
(٤) جنح: مال.
(٥) نديم: صديق.
(٦) عاتيًا: ظالمًا.
(٧) قتار: غبار.
(٨) المروق: الخروج عن الطاعة.
(٩) شرك: شباك.
(١٠) الحين: الهلاك.
(١١) مواطئين: مساندين.
(١٢) مقتبس من قوله تعالى: +**فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا**" [نوح: ٦]، +**ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا* ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**" [نوح:٨، ٩].

ونصحت لهم نصح ذوي الإشفاق، وإخوان الصفاء والوفاق، فأبوا الأمر بالخلاف والأخلاف، وقدحًا لزناد العناد.

وكيف ينفع النصح من أراد الله أن يُغويه[١]، ويرديه في هُوة الرَّدى ويُهويه، وسيذوقون عن قريب وبال الشقاق، ويصيرون ضرائب البيض الرقاق.[٢]

فصل: الأمير وأثره على الناس

كان فلان ألكن[٣] في محفل ذوي الخطابة، أعزل من سلاح الشعر والكتابة، فلما جذب الأمير بباعه، وجرى في اختصاصه على كريم طباعه، وجبر نقصه بوافر فضله، وأطلع عليه شمس الإقبال في ظله؛ حاز فضلاً وافيًا، وفاق أقرانه نظمًا ونثرًا.

ولا غرو أن يفضل بسعادته من كان بالنقص منعوتًا؛ فالشمس تصيّر الحجر بطول المقابلة ياقوتًا.

فصل: الشفاعة لذوي الجُرم

عرفت ما تفضل به مولاي من تشفيعي في فلان، مع عظيم ما جناه، وجرمه الذي كاد يمُرِّ جناه[٤]، لولا أخذه فيه بعفوه العزيز الشرائع، وجرية في تشفيع الشافع على فضله الشائع، وشكرته على هذه الصنيعة العذراء، والعارفة التي طابت عرفًا في هذه الإزراء.

وليس بديعًا تغمد[٥] الجرائم ممن خصَّه الله تعالى بالسجايا الكرائم، ولا التجاوز عن زلات الخدم، ممن جعله في السيادة ثابت القدم، والله عزَّ اسمه يبقيه زينًا للأحرار، وعينًا لأعيان هذه الأطوار بمنه.

فصل: فضل الجد والاجتهاد

ركب متن الجد والتشمير حتى نزل بمريع جناب الأمير؛ ففاز قبل سؤاله بمناه،

(١) يغويه: يتركه إلى نفسه؛ لبعده عن الطاعة فيضل السبيل.
(٢) بيض الرقاق: السيوف العريضة القاطعة.
(٣) ألكن: العيّ في الكلام.
(٤) جناه: اكتسبه من الإثم.
(٥) تغمّد: الابتعاد عن الجرائم.

ونال اليمن والإقبال، بتقبيل يمناه؛ فلا زال عيشه صافيًا حلو الثمار، ولعزه ماضيًا مستقبلاً بالائتمار.

فصل: آفة من نزل بقوم لئام

قد قصدهم راجيًا أن ينصرف عنهم راضيًا، فما حلى منهم بطائل، ولا نال أدنى بِرٍّ ونائل[١]، ومن شأم[٢] برق الإنعام من شيم[٣] قوم كالأنعام، فقد رام من الجهام[٤] غيثًا مريعًا، وراد في الجهاد مَرعى مريعًا.

فصل: الصفات النبيلة

لا سلب الله فلانًا ثوب السيادة، وشفع[٥] النعمة عنده بالزيادة، ورفع قدره على الأقدار، وأبقاه صافي العيش من الأكدار، فإنه غرة[٦] إخوانه، وقرة عين زمانه، يفعل فعل الكرام، ويعتذر اعتذار ذوي الإجرام، ويلقى كل عافٍ بإحسان، ولا يرى أنه يستوجب شكر إنسان.

فصل: قوم جياد

أما بنو فلان؛ فهم الغيوث هولاً وحياءً[٧]، والليوث صولاً وإباءً، يفرون من طلِّ الهوان، ويقرّون[٨] في الحرب العوان، قد حصَّنوا أعراضهم بالسماح، وحصلوا[٩] أغراضهم بالرماح.

---

(١) نائل: معروف.
(٢) شأم: مشؤوم.
(٣) شيم: أخلاق.
(٤) الجهام: السحاب.
(٥) شفع: أتبع.
(٦) غرة: مقدمة ورأس.
(٧) الحيا: المطر، ومنه قول الشاعر:

والحيا قد جلل الروض سنا ... فزهور الروض منه تبسم

(٨) يقرون: يثبتون.
(٩) حصلوا: نالوا.

أما بنو فلان؛ فإنهم زين القِران[١]، وحَيْن الأقران، يحجمون عن سواد العاب، ويقدّمون على آساد الغاب، قد ازدانت العليا بمعاليهم، ودانت الأعداء لعواليهم.[٢]

أما بنو فلان؛ فهم عيون السيادة والسياسة، وقلوب السماحة والحماسة، يرهبون شخص الهُون، ويركبون متن المنون، ويدركون الثرات نطي الباترات، ويلعبون بالكُماة لعب الصَّوالج بالكُرات، لا يُضام[٣] جارهم، ولا يدام نجازهم،[٤]، ولا يينوا عن الضرائب سيوفهم، ولا يصبوا إلى الأقطان ضيوفهم.

أما بنو فلان؛ فهم الغُيوث[٥] البواكر في الأزمات، والسيوف البواتر[٦] عند العزمات، يخضع لنوالهم الأموال، وينزل يوم نزالهم الأهوال، فأولياؤهم في عيشٍ ذي أنوار، وأعداؤهم بين مخالب محنة وبوار.[٧]

أما بنو فلان؛ فقد ظفرت منهم بكلِّ منغام وهُوب، ومقدام على كلِّ خطب مرهوب[٨]، يُعدم العدمُ عند ابتسامه، ويقطر الدم من حدِّ حسامه، يرى الحصن متن الحصان، والطعن أشهر من قبل الحسان، وقد ألهوا الدلوف[٩] إلى الألوف، وأنفوا[١٠] أن يقارعوا[١١] الأشم الأنوف.

فصل: الفارس الشجاع

وأما فلان؛ فإنه يوم التقى الجمعان، وافترق القلوب فرقًا[١٢] من الطعان طار إلى

(١) القران: الصداقة والخلة.
(٢) عواليهم: رماحهم.
(٣) يضام: يذال أو يلام.
(٤) نجازهم: الناجز: الحاضر.
(٥) الغيوث: جمع غيث، وهو المطر الشديد الذي ينزل على أرض ظمأى.
(٦) البواتر: جمع أبتر، وهو القاطع، والعزمات: الشدائد.
(٧) بوار: هلاك، وعليه قوله تعالى: +وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا" [الفتح: ١٢]. أي: هلكى.
(٨) مرهوب: مخيف.
(٩) الدلوف: المنعزل المنطوي.
(١٠) أنفوا: كرهوا.
(١١) يقارعوا: يحابوا.
(١٢) فرقًا: فزعًا.

حَوْمَةِ[1] الحرب حرصًا على الطعن والضرب، كأنه عاشق للمنية، أو ناشق ريحانًا من الخطية.

فصل: قوم لا يقبلون الهوان

كيف أركب مركب الهون، وأرهب رهبة الموهون، وأنا خواض الكرابة، والكرائب[2]، ثاوي القلب في قلب الكتائب، وقومي مقاحيم في كلِّ خطب مهيب، مقاديم على كلِّ حرب ذات لهيب.

وأما فلان؛ فإنه على عبادته القديمة، وسنته القويمة في شدة المراس[3]، وصلابة العود عند الضراس، وإن عضته النُّوب[4] بنيوبها، ورضته[5] الأيام بضروب خطوبها، لم تزده استحالة الأحوال ومقاساة الدواهي والأهوال إلا نهوضًا بالأعباء، ويهودًا[6] إلى الأعداء، وتمرسًا بالأمور الصعاب، وتمرنًا على الطعان والضراب، وثباتًا في القلب المعترك.

وقد قرع النَّبع[7]، واختلط الدم بالنقع، وصارت فحول الحوب صابلة، ودماء البُسيل[8] على الأسل[9] سائلة؛ فلا يطمعن طامع في صراعه، ولا يحدثن نفسه بقراعه، فيصير رهان أسى وندم، وصريع نوى مضرجًا بدم.

بلغني أنه لبس لي ثوب العادي، وأصبح قاصرًا أوقاته على إبعادي، فليوقد نار العداوة طوقه، وليوعد حتى لا يجد مزيدًا فوقه، فلست بيراعة ورع، ولا هيابه ضرع، إذا رعد الخصم ارتعد، وإذا هجم الخطب أحجم، ولكنني البطل المقدام، والنُّكل المطعان، وإذا نكل الشجعان لا ألهى هائبًا مرتاعًا منصاعًا، إذا جاش الجيش مصاعًا، ولا ألقى هائبًا مرتاعًا، وإذا خاض الخيل عَلقًا متاعًا، فإن ارتاب بهذه القولة، وخال

(١) حومة: ميدان.
(٢) الكرائب: جمع كربة، وهي الشدائد.
(٣) المراس: التدريب والممارسة.
(٤) النوب: النائبات.
(٥) رضته: أفجعته.
(٦) يهودًا: عودة.
(٧) قرع النبع: النبع شجر تتخذ منه القسي، وتتخذ من أغصانه السهام.
(٨) البسيل: الشجاع.
(٩) الأسل: الرماح.

أني خال من الصَولة؛ فليلقني متى شاء محاربًا، وليختبرني مطاعنًا ومضاربًا؛ ليرى شاهدًا ما سمعه على الغيب.

فصل: اتق شرَّ الحليم إذا غضب

قد سنَّ لطردي سنانه، وثنى إلى عنادي عنانه، وعدا مقدمًا بالوعيد إليَّ تقديرًا منه أنه بقدر على غير عالم بمراسي[١] الشدائد، وافتراسي كل مدجج في الحديد، وأني قد وُصِفت نجدًا أبيًا[٢]، وأرضعت بدرِّ الحرب صبيًا، لا أحتمل ضيم العدى، ولا أحتفل بورود الردى، إذا رميت قرنًا أصميت، وإذا حككت قرحة أرميت إن كان وراءه ناس، وعليه من النجدة لباس، فلينتدب انتداب الرجل الصنديد[٣]، ولا تقتصر على الوعيد عادة الرعديد[٤]؛ ليرى صولات فحول الرجال، وخوضهم الموت في الحرب السجال، ويعلم يقينًا في تلك الحال أن عناده إياي من المحال.

فصل: أهمية السيف

لما طلعت شموس القُضب[٥] من مشارق القُرب، ولمعت نجوم الأسل[٦] في سماء القسطل[٧]، أعدنا مغاربها في إياب الحسن، وجعلناه رجومًا لشياطين الإنس.

سيوف مضيئة إضاءة الإضاء، ماضية مضاء القضاء، راشحة بالدماء ظباتها[٨]، شارحة صدور الأولياء ضرباتها، ناطق أثرها بدرك الثأر، قاذف ماؤها بشرر النار، وعادتها أن ترد سود المنون، وهي ذكور بيض المتون.

تمَّ كتاب سر الصناعة بحمد الله وتوفيقه ومَنِّه

(١) مراسي: خبرتي وممارستي.
(٢) نجدًا أبيًا: عاليًا، أرفض الظلم والضيم.
(٣) الصنديد: القوي الشجاع.
(٤) رعديد: جبان.
(٥) القضب: القضيب الغصن.
(٦) الأسل: الرماح.
(٧) القسطل: الأعلام.
(٨) ظباتها: حدها القاطع.

obeikandl.com

الفهرس

الموضوعات	الصفحة
مقدمة	٣
خطبة المؤلف	٩
الهدف من الكتاب	١٠
في الثناء على الله وذكر بعض نعمه	١٨
الاستعاذة	١٩
في فضل القرآن الكريم	٢٠
في الدعاء	٢١
في ذكر شرف النبي ﷺ	٢٢
في ذكر سُنته ﷺ	٢٣
في ذكر أصحابه ﷺ	٢٣
شرف العلم وفضل العلماء	٢٤
ذكر صفات العالم	٢٥
الإخلاص والتواضع	٢٥
دعوة إلى التوبة	٢٦
ذم الدنيا	٢٦
الاستعداد للموت	٢٦
صفاء الاعتقاد	٢٧
في الشهادة والتوحيد	٢٧
آداب الصلاة	٢٨
في الصيام	٢٩
في الزكاة	٣٠
في الحج	٣٠
في المعرفة والعارف	٣١

obeikandi.com

الموضوعات	الصفحة
في المحبة والمحب	٣٢
في الزهد	٣٣
في التوكل	٣٤
في التقوى	٣٤
في الرضا	٣٥
ما ينبغي للملك أن يكون عليه ويأتيه	٣٦
الملك الحق	٣٧
سخاء الملك	٣٩
كيف يحلو الملك بالتهاني	٤٠
في العدل وطيب ثمرته	٤١
إخلاص النية في العدل	٤٢
الابتعاد عن الفسق والفساد	٤٣
سوء عاقبة الظلم	٤٣
إذا اعتدى الملك	٤٤
في الدعاء على الظالم	٤٥
في ذكر الوزير	٤٦
تقليد الوزارة مَنْ هو أهلها	٤٧
إذا وسد الأمر إلى غير أهله	٤٩
إذا قلد العامل الظلوم	٥٠
إذا قدم للوزارة المتأخر في الدراية	٥١
إذا عرض عليك عمل السلطان	٥٢
صاحب السلطان بين الخوف والرجاء	٥٣
البلغاء والشعراء	٥٣
وصف الخط واللفظ	٥٤

obeikandi.com

الموضوعات	الصفحة
كتاب الأمير	٥٤
جمال الخطاب وروعة أسلوبه	٥٥
الكُتَّاب أمناء الأمراء	٥٦
فضل الكاتب	٥٦
فصل: الشاعر	٥٧
وصف الكتب	٦٠
حفظ الكتب والأوراق	٦١
صيانة الحكم عن الجهلاء	٦١
في حصول الراحة بالتعب	٦٢
في العقل	٦٣
في الصبر	٦٤
في الشكر	٦٦
في ذكر الموت	٦٦
في الشوارد والفوارد	٦٧
ذهاب أهل التمييز	٦٧
صفات الحرِّ	٦٨
في شوارد الفصول	٧٣
التمييز بين المتشابهات	٧٤
الارتحال إلى أهل الفضل	٧٥
إذا ابتلى العالم بقوم جهال	٧٥
إذا وجدت في مكان يخلو من أهل الفضل	٧٦
أنزل الناس منازلهم	٧٦
نزِّه نفسك عن اللئام	٧٧
بلدة أهلها لئام	٧٨

obeikandl.com

الموضوعات	الصفحة
إذا كنت في قوم قريعهم رقيع	٧٨
أدب التعامل مع الناس	٧٨
أخف حاجتك	٧٩
اكتف بالكفاف	٧٩
إذا منيت بالعيش المر	٧٩
خفف ثقل المئونة بالخلوة	٨٠
اكتف بالعفة	٨٠
اجعل الصبر جنتك	٨٠
إيثار الانفراد	٨١
لا تكن بالولاية مغرورًا	٨٢
ثبَّت الله قدم الأخيار الأحرار	٨٢
اركب متن الاجتهاد	٨٣
طلب الآداب	٨٣
أحكم الدين، ولا تغتر بزخارف الملحدين	٨٤
عدم الرضا بالهوان	٨٥
لا تقابل حسودك فعل الأكياس	٨٥
رعاية ذمم الإخوان	٨٥
عدم احتقار الناس	٨٥
حسن استقبال الزائرين	٨٦
إذا أردت أن تسود	٨٦
صن نفسك من امتهان الدين	٨٧
لا تشتغل بحديث الحوادث وشكايتها	٨٧
الصبر عند الشدائد والمرض	٨٨
الصبر عند قصور اليد وسوء الحال	٨٨

obeikandi.com

الموضوعات	الصفحة
حسن استقبال الضيف	٩٠
وصف الأمير وبيان فضله	٩١
شكر الأمير على عطاياه	٧٤
أثر المال والجاه في النفوس	٩٤
جزاء خائن المودة	٩٤
أسس اختيار الصديق	٩٥
الوقوف بجانب الصديق في الشدة	٩٦
في خدمة العلماء وطلب العلم	٩٦
مكارم الأخلاق	٩٧
جناية بعض الآباء على بناتهن	٩٨
فضل الأمير	١٠٠
آثار رفض النصيحة	١٠١
الأمير وأثره على الناس	١٠٢
الشفاعة لذوي الجُرم	١٠٢
فضل الجد والاجتهاد	١٠٢
آفة من نزل بقوم لئام	١٠٣
قوم جياد	١٠٣
اتق شرَّ الحليم إذا غضب	١٠٦
أهمية السيف	١٠٦

* * *

obeikandl.com